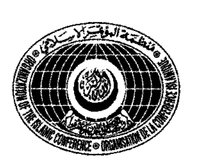


منظمة المؤتمر الإسلامي

مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول



سلم الوصول إلى طبقات الفحول

العلامة المؤرخ مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني

المعروف بكاتب جلبي وبحاجي خليفة

١٠١٧ - ١٠٦٧ هـ ١٦٠٩ - ١٦٥٧ م

المجلد الأول

إشراف وتقديم

أكمل الدين إحسان أوغلي

تحقيق

محمود عبد القادر الأرناؤوط

تدقيق

صالح سعداوي صالح

إعداد الفهارس

صلاح الدين أويغور

استانبول ٢٠١٠ م

منظمة المؤتمر الإسلامي
مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول

سلسلة كتب التراجم والطبقات: ١

ISBN

المجلد الأول 978-92-9063-210-8
المجلد الثاني 978-92-9063-211-5
المجلد الثالث 978-92-9063-212-2
المجلد الرابع 978-92-9063-213-9
المجلد الخامس 978-92-9063-214-6
المجلد السادس 978-92-9063-215-3
المجموعة 978-92-9063-216-0

العنوان

Barbaros Bulvarı, Yıldız Sarayı, Seyir Köşkü
34349, Beşiktaş, İstanbul/Türkiye
Tel: +(90 212) 259 17 42 Fax: +(90 212) 258 43 65
e-posta: ircica@ircica.org
www.ircica.org

تنضيد وتنظيم الصفحات: صلاح الدين أويغور

الطباعة والتجليد

EUROMAT

ENTEGRE MATBAACILIK A.Ş., İstanbul-Türkiye
www.euromat.com.tr

تحت إشراف

شركة يلدز للنشر والإعلام ش.م.
www.yildizprint.com

فهرسة وتصنيف مكتبة إرسيكا

كاتب چلبي، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، ١٦٠٩-١٦٥٧م

سلم الوصول إلى طبقات الفحول / مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بكاتب چلبي وبحاجي خليفة؛ إشراف وتقديم أكمل الدين إحسان أوغلي؛ تحقيق محمود عبد القادر الأرناؤوط؛ تدقيق صالح سعداوي صالح.-استانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ٢٠١٠م.

ستة مجلدات؛ ٢٩سم.-(سلسلة كتب التراجم والطبقات، ١)

العنوان بالإنجليزية: Sullam al-Wuṣūl ilā Ṭabaqāt al-Fuḥūl: The ladder of elevation to the lives of the great and famous by generation.

يشتمل على هوامش ببليوغرافية وكشافات.

قائمة المصادر: ج ٣/ص-٤٤٩-٤٧٢، ج٥/ص٤٨١-٤٨٨.

النص بالعربية، المدخل بالإنجليزية.

الترقيم الدولي: 978-92-9063-216-0 (المجموعة)

١-العلماء، المسلمون--تراجم. ٢-البلدان الإسلامية--تراجم. I. إحسان أوغلي، أكمل الدين، ١٩٤٣- II . الأرناؤوط، محمود عبد القادر. III. صالح سعداوي، صالح. IV . العنوان. V. السلسلة.

920.00917671--ddc 22


بسم الله الرحمن الرحيم

صدر هذا الكتاب

في إطار إعلان اليونسكو عام ٢٠٠٩م عاماً

للاحتفال بالذكرى الأربعمائة على مولد كاتب چلبي

تقديم

الدكتور خالد أرن

مدير عام إرسيكا

كان من مجالات النشاط الأساسية التي عُني بها مركزُ الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا) التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي أعمال فهرسة المخطوطات المتعلقة بتاريخ الإسلام وثقافته، ثم العمل على حماية تلك المخطوطات ونشرها والتعريف بها. ونشعر اليوم بامتنان عظيم ونحن نقدم للقراء والباحثين نسخةً محققة من كتاب "سلم الوصول"، هذا العمل المهم الذي وَضَعَه في تراجم الأعلام كاتب چلبي (ت ١٦٥٧م)، ذلك العالم العثماني الكبير، صاحبُ كتاب "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" الذي عاش في القرن السابع عشر الميلادي.

ويبرز أمامنا مجالُ التراجم (الطبقات والوفيات) واحداً من أكثر المجالات ثراءً في الأدبيات الإسلامية. فقد وَضَعَ المؤرخون المسلمون مئات الكتب في التراجم بشتى فروعها. وقِسْمٌ من تلك المؤلفات يضم تراجم لعلماء ينتسبون لمذهب معين أو يعملون في فرع معين من فروع العلم، بينما يتناول قسم آخر سير الأعلام البارزين خلال عصر معين من رجال الدولة والقادة والحكام والعلماء وأرباب الصنائع والأدباء والشيوخ وغيرهم. ويأتي هذا النوع من التراجم العامة مرتباً في الغالب بحسب الترتيب الألفبائي، وأبرز الأمثلة فيه: وَفَيَات الأعيان لابن خلكان (ت ١٢٨٢م)، والوافي بالوفيات للصفدي (ت ١٣٦٣م). وبالإضافة إلى ذلك هناك كتب تاريخ الإسلام العام أو كتب التاريخ الخاصة بمنطقة معينة (الحوليات)، والتي تتناول الحديث عن أحداث العام ثم تعقبه بالحديث عن حياة بعض المتوفين من المشهورين في ذلك العام. وقد جرى العثمانيون على ذلك التقليد في الحضارة الإسلامية، وكان كتاب "الشقائق النعمانية" الذي وضعه بالعربية طاشكوبري زاده أحمد بن مصطفى باكورة كتب التراجم العامة عند العثمانيين. وهو كتاب قُسِّمَتْ فيه التراجم إلى أدوار بحسب السلاطين

العثمانيين، ولم يتحدث فيه المؤلف إلاّ عن حياة الأعلام العثمانيين الذين عاشوا حتى عصره.

ويأتي كاتب چلبي على رأس أهم الشخصيات التي ألفت في مجال التراجم العامة، وهو على الرغم من وفاته في سن مكبرة إلاّ أنه نجح في كتابة العديد من الكتب القيمة، وكان من أهمها وأكبرها كتاب "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" في التعريف بالكتب وموضوعات العلوم، وكتاب "سلم الوصول إلى طبقات الفحول" في التراجم، ثم كتاب "فذلكة" في تاريخ الإسلام العام، وكتاب "جهاننما" أي مظهر العالم في الجغرافيا. وقد طبع الكتابان الأول والأخير أكثر من مرة، أما "سلم الوصول" الذي لا يقل أهمية عن هذين الكتابين المنشورين، وكذلك "فذلكة" فلم يستطع أحد التصدي لنشرهما حتى الآن.

وإدراكاً لذلك الأمر بادر مديرنا العام الأسبق والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلى باتخاذ القرار لتحقيق ونشر ذلك الكتاب تحت إشرافه. وعندئذٍ تم الحصول على مسودة المؤلف المحفوظة في مكتبة السليمانية (قسم الشهيد علي باشا، رقم ١٨٨٧) في استانبول، وعلى النسخة المنسوخة من المجلد الأول الذي بيّضه كاتب چلبي والمحفوظة في دار الكتب المصرية (مصطفى فاضل، تاريخ رقم ٥٢) بالقاهرة. ثم جرى الاتفاق مع المحقق المعروف الأستاذ محمود الأرناؤوط على انجاز عملية التحقيق، فبدأت في سنة ١٩٩٨م. وقام الأستاذ الفاضل بقراءة النص رغم صعوبتها والمقارنة بين المخطوطتين وتحديد الفروق الموجودة بينهما حتى ظهر النص الأساسي للكتاب مدعماً بالتعليقات والشروح اللازمة للتراجم. وبعد عملٍ مشترك وطويل من المراجعة والتدقيق وإضافة بعض الملاحظات واستكمال بعض المداخل ووضع الفهارس خرج الكتاب بصورته الجاهزة للطباعة، وها نحن نقدمه اليوم لقرائنا الأعزاء. وكما تم في أثناء الإعداد مقارنة النسختين المذكورتين فقد جرى أيضاً استكمال بعض المداخل الناقصة في المسودة بعد الرجوع لبعض المصادر وعلى رأسها كتاب "فذلكة" للمؤلف، ثم أضيفت إليها الملحوظات الببليوغرافية اللازمة.

والجدير بالذكر هنا أن "سلم الوصول" لكاتب چلبي هو أكبر الكتب التي ظهرت في التراجم العامة الإسلامية في تاريخ الأدبيات العثمانية. وقد تناول فيه المؤلف حياة رجال الدولة البارزين في تاريخ الإسلام، وحياة العلماء والشخصيات المهمة التي احتلت مكانتها في الأدبيات الإسلامية رغم أنها عاشت قبل ظهور الإسلام، ثم عن أعمال ومؤلفات هؤلاء، مع ترتيب كل ذلك في مداخل ألفبائية. كما قدم لنا في القسم الثاني من الكتاب (ج ٤، ٥) معلومات في الأنساب والكنى والألقاب، وعَرّف بعض الأماكن والفرق والمذاهب المختلفة.

وحرص المؤلف وهو يُعِدُّ كتابه على الحديث في المقدمة عن المنهج الذي جرى عليه مع تقديم شروح حول علم التاريخ وبعض الأنساب. أما الخاتمة فهي تضم معلومات إضافية مكملة للمعلومات الموجودة في نص الكتاب، ومن هنا فهو ليس مقصوراً على التراجم وحدها، وإنما يعد أيضاً واحداً من كتب الأنساب.

وقد جاء هذا الكتاب بصورته المحققة والمدققة نتيجة جهود مشتركة ساهم فيها عدد كبير من المتخصصين والباحثين تحت إشراف البروفيسور إحسان أوغلي. وبهذه المناسبة يسعدني أن أتوجه بالشكر الجزيل أولاً إلى معالي البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلى على الجهد المشكور الذي بذله في الإشـــراف على هـذا الكتـــاب وإصداره، وإلى المحـقـق المعروف الأستاذ محمود الأرناؤوط، ثم إلى كل من الزميلين العزيزين الأستاذ الدكتور رمضان ششن والدكتور هدايت نوح أوغلى على جهودهما الطيبة خلال مراحل إخراج الكتاب، ثم إلى الزميل العزيز الدكتور صالح سعداوي، وإلى أخي صلاح الدين أويغور صاحب الجهد الكبير في هذا الكتاب.





كاتب چلبي أو حاجي خليفة حياته ومؤلفاته*

١٠١٧-١٠٦٨هـ/١٦٠٩-١٦٥٧م

كاتب چلبي أو حاجي خليفة، كما يُعرف بلقبيه المختلفين، هو واحد من أبرز علماء المسلمين في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي. وهو - كما يتضح من ترجمته التي تضمنتها هذه المقدمة - رجل صَرَفَ همّته وقضى عمره في تحصيل العلم ونشره. بدأ يطلب العلم منذ نعومة أظفاره، وظل يشتغل به طيلة حياته في الحضر والسفر، وفي الحرب والسلم، حتى وَافته المنية وهو منكب على الكتب.

وهو أنموذج واضح لشخصية المثقف العثماني التركي الذي بدأ حياته العلمية بتعلم القرآن الكريم، وتحصيل علوم العربية، والتخصص في علوم الدين، والتمرّس بالعلوم الرياضية والطبيعية، مع إتقان للغة الفارسية وأدبها إلى جانب إتقانه للغة العربية. وقد ألف - كعادة العلماء العثمانيين الأتراك ومن سار على نهجهم من مثقفي الدولة العثمانية غير الناطقين بالعربية - باللغتين العربية والتركية في آن معاً. كذلك فإن الأسلوب المسجع الذي هو القاسم المشترك في كافة النصوص النثرية الكلاسيكية التي كتبت في القرنين السادس عشر والسابع عشر لا نجده في أعماله إلاّ في القليل النادر، ولكي نعثر عليها لا بد لنا من تقليب عدة صفحات. فهو لا يعبأ بتزويق أفكاره ومباحثه الجدلية، ولا يعنى باستخدام التعابير والألفاظ الغريبة، أي أنه لا يتعسف في اختلاق الألفاظ والتراكيب، وإنما يميل إلى الكتابة بأسلوب واضح مختصر، ونادراً ما يستخدم الجناس والتشبيه في الجملة.

وإن المؤلفات العديدة التي خَلّفها لنا كاتب چلبي، والتي سوف نأتي على ذكرها باختصار، تنم عن معرفة موسوعية، وعن عمق في تمثل التراث الحضاري الإسلامي. ولاشك أن كتابه "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" - الذي صار مرجعاً أساسياً لا غنى عنه لدارسي الحضارة الإسلامية عنه - وإحاطته بالتراث الحضاري الإسلامي هو خير دليل على

---

* لقد رأينا أن نضع هنا هذه المقدمة العربية عن حياة كاتب چلبي وأعماله حتى يتعرف القارئ العربي عليه، وهي في جلها مأخوذة من كتاب المرحوم الأستاذ أورخان شائق كوكياي المذكور فيما يلي.

موسوعية كاتب چلبي، وربما لا يعدله في هذه الشمولية بين مؤلفاته إلا كتاب "سُلّم الوصول إلى طبقات الفحول" الذي نحن بصدد تحقيقه ونشره لأول مرة. كما تدلنا كتبه التي ضمّنها أفكاره في ذلك العصر، حول حاضر الدولة العثمانية، كما خَبَرَها من خلال عمله في الجهاز البيروقراطي في العاصمة إستانبول، أو عمله الإداري في الحملات العسكرية، على عقلية نقدية موضوعية، ونظرة تحليلية، وإن له من الآراء ما يعتبر شاهداً حيّاً على الشعور القَلِق بين طبقة المثقفين العثمانيين من التحول في ميزان القوى الذي حصل بين الدولة العثمانية والقوى الأوربية في ذلك الحين، ومن بوادر الضعف والخلل الذي أصاب الدولة العثمانية، والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها.

أما البعد الثالث في شخصية كاتب چلبي - والذي نعتبره من أهم العناصر في تكوينه الفكري - فهو انفتاحه على الثقافة الأوربية، واهتمامه بها، وعمله الدؤوب على نقل بعض المؤلفات الأوربية من كتب التاريخ والجغرافيا، ومحاولاته في الاستفادة من المصادر الغربية في كتاباته. وهو بعمله هذا يعتبر من أوائل الرُّواد في الحضارة الإسلامية في عصره، ممن بادروا بالاتصال بالغرب، وحاولوا فهم السبل التي أدت إلى تقدمه، وبداية تفوق الأوربيين على العالم الإسلامي، الذي كانت تمثله آنذاك الدولة العثمانية. ولم يقتصر عمل كاتب چلبي على الترجمة أو النقل من اللغة اللاتينية إلى إحدى اللغتين العربية أو التركية، وإنما كانت له نظرات ومقارنات بين الحضارتين الإسلامية والأوربية، أوردها شذراتٍ متفرقات في العديد من مؤلفاته، مما يدل على إحساس مبكر منه بسبق الأوربيين للعثمانيين في مجال الثقافة.

ومن السمات المهمة التي جعلته يحوز مكانة متميزة هي همه في البحث عن الحقيقة، فهي ضالته التي انشغل بالعثور عليها، ثم شجاعته في عرض أفكاره والدفاع عنها، وشجاعته في التناول المحايد للموضوعات الخلافية والجدلية. ولعل ذلك هو الذي جعله يحظى بمكانة متميزة في الشرق والغرب، فتحدث الغربيون عنه وعن أعماله بالإعجاب الشديد، حتى وصفه أحد المستشرقين بأنه "السيوطي" التركي [1] وقد ترك على الكتاب العثمانيين أثراً كبيراً، مما حدا ببعضهم أن يقتفي أثره، ويسير على نهجه، فهناك شهري زاده في كتابه (نو پيدا)، ونعيما في تاريخه. ومع ذلك فإن قيمته العلمية الحقيقية لم تظهر في تركيا إلاّ في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وخاصة منذ كتب عنه عدد من الكتاب والمفكرين الأتراك بعض البحوث والمقالات ابتداءً من الرسائل المستقلة التي كتبها بورصه لي محمد طاهر بك، عن

(1) F. Babinger, Ein turkischer Stiftungsbrief des Nerkesî..., *MOG*, I/163, Wien 1922.

حياته، ثم المقالات التي تركزت بوجه خاص حول نظراته العقلانية وأفكاره المتحررة التي جاء بها كتابه "ميزان الحق"[٢].

إن كتبه الأخرى في التاريخ والجغرافيا، وكتبه التي حملت آراءه حول الدولة والمجتمع والحياة العلمية والثقافية في أيامه جديرة بالتحقيق المنهجي، والدراسة العلمية المتأنية، والنظرة المتعمقة لمعرفة أدق للوضع الثقافي والمستوى الحضاري الذي كان عليه العالم الإسلامي في القرن السابع عشر[٣]، والذي لم يكن أبداً مثلما زعم البعض منذ أواخر القرن التاسع عشر، وخلال القرن العشرين، قرناً آخر من القرون المظلمة في تاريخ الإسلام، بل على العكس كان يزخر بالنشاط الفكري والعلمي، ويسود المثقفين فيه إحساس بضرورة مراجعة النفس والاتجاه إلى النقد الذاتي.

❋❋❋

(٢) انظر: بورصه لى محمد طاهر، كاتب چلبي، استانبول قناعت مطبعه سى ١٣٣١ (١٩١٥) ٣٠ صحيفة .... ، مؤرخين عثمانيه دن عالى وكاتب چلبي نك ترجمهٔ حاللرى، سلانيك ١٣٢٢ (١٩٠٦)، حميديه مكتب صنايع مطبعه سى، ٤٧ صحيفة. وانظر أيضاً:

Ali Canip, "Katip Çelebi'de Liberallik", *Hayat Mecmuası* 1927, III sayı 20, s. 462.
.... "Katip Çelebi" *Yeni İstanbul Gazetesi*, 13 IV/1950.

وكتب أيضاً معلم جودت سلسلة من المقالات في مجلة *Muallimler Mecmuası* في أعدادها: 38-39, 40-41, 42, 43-44, 45, 47-48 أما أكثر من كتب في تركيا حول كاتب چلبي وأعماله بالتفصيل فهو عدنان آديوار في كتابه: Osmanlı Türklerinde İlim, İstanbul 1943 ثم كتب مقالة في جريدة الجمهورية (العدد ٦٨٧٨) تحت عنوان *Garba açılan ilk pencere, Katip Çelebi* أي كاتب چلبي أول نافذة تفتح على الغرب.

(٣) لقد تعرضنا في دراسات سابقة لملاحظات كاتب چلبي حول الحياة التعليمية وتدريس العلوم العقلية في مدارس استانبول، وبينا إلى أي مدى يمكن أخذ ما أورده بصورته الظاهرة دون مراجعة شمولية للموضوع قيد البحث، انظر:

1- Fatih Medreseleri ne değildi!: Tarih Yazıcılığı Bakımından Tenkit ve Değerlendirme Denemsi – *İstanbul Armağanı 1: Fatih ve Fetih*.-İstanbul: İstanbul Büyükşehir Belediyesi Kültür İşleri Daire Başkanlığı, 1995, 105-136. Büyük Cihaddan Frenk Fodulluğuna, İstanbul 1996, s. 39-84.
2- Osmanlı Medrese Tarihçiliğin İlk Safhası (1916-1965), *Belleten*, 64 (240), (Ağostos 2000): 545-591.
3- "Genesis of Learned Societie and Professional Associations in Ottoman Turkey", *Archivum Ottomanicum*, Editör, Görgy Hazai, 14 (1995/96): (161-189).

حيــــــاته:

إن الأساس في التعرف على حياة كاتب چلبي هو ما استمددناه من ترجمته هو لنفسه في نهاية كتابيه " سُلّم الوصول إلى طبقات الفحول"[٤] و"ميزان الحق في اختيار الأحق"[٥]. ثم من المعلومات التي سردها في مواضع مختلفة من مؤلفاته كلما وجد لذلك مناسبة، ومن بعض الملاحظات والإشارات المقتضبة، وغير ذلك من الشوارد التي لا تُقَارَنُ بما جاء في كتابيه المذكورين. فعندما نضم هاتين الترجمتين إلى تلك الملاحظات والإشارات يمكننا الحصول على سيرته وحياته بشكل كاف، وهو ما فعله المرحوم الأستاذ أورخان شائق گوكياي في دراسته المطولة عن صاحب الترجمة[٦]، والتي اعتمدناها أساساً لهذه المقدمة.

أصل اسمه مصطفى، واسم أبيه عبد الله، وهو يكتفي على غير العادة بذكر اسم والده فحسب، وكانت شهرته بين علماء المدينة باسم "كاتب چلبي"، وبين أهل الديوان باسم "حاجي خليفة" [وكلمة خليفة في المصطلح العثماني تعني آمر القلم ورئيسه] وهو حين يعرِّف بنفسه يقول إنه "حنفي المذهب إشراقي المشرب". وقد ولد – حسبما ذكرته والدته – في شهر ذي القعدة عام ١٠١٧هـ (فبراير/ شباط ١٦٠٩م) في مدينة إستانبول، حيث كانت دارهم أيضاً. وهو بحسب قوله: "قسطنطيني المولد والدار". وعمل والده في قسم الـ (أندرون)[٧] بالسراي العثماني، ثم "خرج" منه بوظيفة ملحقة بزمرة السلحدارية[٨]، وقنعت نفسه بتلك الوظيفة، فكان يشارك في الحروب والأسفار، وكان على دين وخلق، مواظباً على مجالس العلماء والشيوخ، حتى إن ليله كان يقضيه في العبادة. ولما بلغ ابنه الخامسة أو السادسة من عمره اتخذ له معلماً يعلمه القرآن وتجويده، هو الإمام عيسى خليفة القريمي، فتعلم على يديه قراءة القرآن والمقدمة الجزرية في التجويد، كما تعلم مبادئ الصلاة. ثم أسمعه بعد ذلك ما قرأه عليه وحفظه في دار القراء التي تعرف باسم مؤسسها مسيح باشا بإستانبول. وتعلم أيضاً

---

(٤) مكتبة شهيد علي باشا، رقم ١٢٧/١٨٧٧ أ.

(٥) نشره أبو الضيا، استانبول ١٣٠٦، ص ١٢٩ وما بعدها.

(٦) انظر: *Kâtip Çelebi Hayatı ve Eserleri Hakkında İncelemeler*, Ankara 1991, 3-90.

(٧) الاندرون : هو القسم الداخلي في السراي العثماني، وبمثابة المدرسة التي تقوم في إطار نظام محكم على تنشئة فئات مختلفة ممن سيعملون في وظائف الدولة.

(٨) السلحدارية: مجموعة من كبار الضباط الذين يحتفظون بأسلحة السلطان في القصر، ويحملونها له عند خروجه الى الحرب.

على يدي زكريا علي إبراهيم أفندي، ونَفَس زاده مصطفى أفندي (ت ١١ ذو القعدة ١٠١١هـ)[٩]، واكتفى بحفظ نصف القرآن.

وقرأ بعد ذلك كتابي التصريف والعوامل على إلياس خوجه، وتعلم الخط على يدي الخطاط أحمد چلبي الأحدب (بوگرى)[١٠]. ولما بلغ الرابعة عشرة من عمره بدأ والده يمنحه مصروفاً يومياً قدره أربعة عشر درهماً من راتبه، ثم اصطحبه إلى جانبه. وعلى هذا النحو انخرط للعمل مساعداً (شاگرد) في "قلم محاسبة الأناضول" أحد أقلام الديوان الهمايوني[١١] (١٠٣٢هـ/١٦٢٢-١٦٢٣م). وهناك تعلم مبادئ الحساب من أحد خلفاء القلم، وتعلم معها الأرقام وخط "السياقت"[١٢] فأجاده حتى تقدم على أستاذه، أي "الخليفة" نفسه. ولما غادر الجيش إستانبول عام ١٠٣٣هـ /١٦٢٣-٢٤) لإخماد ثورة أباظة باشا سافر مع والده ليشارك في حملة ترجان. وكان آنذاك في آلاي السلحدار. وفي الوقت الذي حمي فيه وطيس الحرب مع اباظة باشا بالقرب من قيسري في ٢٢ ذي القعدة ١٠٣٣هـ (٧ سبتمبر/ أيلول ١٦٢٤م)، سنحت له الفرصة من فوق ربوة عالية "أن يشهد بعينيه عن كثب أحوال تلك الحرب".

ويقول في كتابه (فذلكه) وهو يروي قصة المعركة تلك مجدداً بها الذكرى:" وكان الفقير [يقصد نفسه كعادة العلماء العثمانيين عند الحديث عن أنفسهم تواضعاً] واقفا في ذلك المحل، فرأيت الباشا المرحوم الصدر الأعظم (طباني ياصِى محمد باشا) وقد وضع على رأسه خوذة محلاة بماء الذهب، ولا يزال صليل رمحه في أذني إلى الآن". وشارك كاتب چلبي في حملة العراق عام ١٠٣٥هـ (١٦٢٥-١٦٢٦م)، وفي ١٢ رمضان من نفس العام (٧ يونية/ حزيران ١٦٢٦م) فتسلق برجاً عالياً خلف جناح السلحدارية، وشاهد سير المعركة، وكانت طلقات المدافع من برج الأعاجم تمر من فوقه، رغم بعد المسافة[١٣]. واستمر الحصار هناك تسعة أشهر، وشهد بعينيه كيف تكون ضراوة الحروب. ونتيجة لغلبة الخصم بسبب القحط انقطع الأمل وبدأت رحلة العودة، وعندها عانى من الضيق أعظمه مع الجميع. ولكنه راح يسلي نفسه متعللاً بأن البلية إذا عمت طابت.

---

(٩) انظر: فذلكه ١٩٤/١ وما بعدها، وذيل الشقائق، ٤٥٨ وما بعدها، ومستقيم زاده، مجلة النصاب، مكتبة حالت أفندي، رقم ٦٢٨، ٤٢٦ أ.

(١٠) انظر: أحمد الأحدب في تحفة الخطاطين، نشر: تاريخ عثماني انجمنى، ص ٩٨.

(١١) الديوان الهمايوني: هو الهيئة التنفيذية العليا التي تتولى إدارة شؤون الدولة في شتى المجالات تحت رئاسة الصدر الأعظم.

(١٢) نوع من الخط لا يستخدم التنقيط، ويأخذ شكلاً رمزياً لا يعرفه إلاّ من تعاطوه. وقد استخدمه العثمانيون بوجه خاص في شئون الحسابات والمالية.

(١٣) فذلكه، ٨٣/٢ وما بعدها.

وقد أوجز كاتب چلبي تصويره المؤلم لتلك العودة بقوله: "لم تكن المشقة التي عاناها عساكر الإسلام في هذا الطريق شيئاً حدث في التاريخ من قبل"، ولما بلغوا مدينة الموصل توفي والده في شهر ذي القعدة عام ١٠٣٥هـ (أغسطس – سبتمبر ١٦٢٦م)، ودفن هناك في مقبرة الجامع الكبير. ولم يمض شهر آخر حتى توفي عمه عند موضع (جَرّاخْلو) بالقرب من نصيبين. وعلى هذا رجع كاتب چلبي إلى ديار بكر مع أحد أقربائه، ومكث هناك مدة. وقام أحد زملاء والده ويدعى أحمد خليفة بتعيينه مساعداً في "قلم مقابلة السواري".[١٤]

وفي عام ١٠٣٧هـ (١٦٢٧-١٦٢٨م) عاد إلى إستانبول، وراح يواظب على دروس قاضي زاده منلا قاسم (ت ٨٩٩هـ/١٤٩٤م). ثم شارك بعد ذلك في حصار مدينة أرضروم، وبعد الحصار الذي دام سبعين يوماً بلا طائل لقي مع غيره عناءً كبيراً في الطريق إلى توقاد، فقد تجمدت أيادي وأرجل الغالبية من شدة البرد وبترت بعضها، ومات من مات، وتعرض هو خلال تلك الكارثة للكثير من المحن والآلام "التي لم تحدث من قبل".

وفي عام ١٠٣٨هـ (١٦٢٨-١٦٢٩م) حضر مدة إلى إستانبول، وراح يواظب على دروس قاضي زاده منلا قاسم (ت ٨٩٩هـ/١٤٩٤م)، وتأثر به كثيراً، فقد كان الرجل عالماً طلق اللسان عظيم التأثير في نفوس سامعيه، يحضهم على طلب العلم والتخلص من الجهل، فجعله يتعلق به "وجذبه إلى طريق الشغل وتحصيل العلم جذبة وأي جذبة". وبدأ يتذاكر معه العلوم العالية التي درسها من قبل، وظل مداوماً على دروسه ووعظه حتى خرج للحرب مرة أخرى مع خسرو باشا[١٥]. وفي عام ١٠٣٩هـ (١٦٢٩-١٦٣٠م) كان في حاشية خسرو باشا مشاركاً إياه في حملتي همدان وبغداد، وقد رَوَى فيما بعد ما تعرضوا له أثناء تلك الحرب، وأشار إلى المدن والمواقع التي استولوا عليها، مثل قلعة گلعنبر وحسن آباد وهمدان وبستون وغيرها، وذلك في كتابه الكبير في الجغرافيا المعروف باسم (جهاننما)[١٦] وفي كتابه (فذلكه)[١٧]. وعقب حرب همدان في عام ١٠٤٠هـ (١٦٣٠-١٦٣١م) رافق الجيش عندما نزل به خسرو باشا إلى بغداد.

ويذكر كاتب چلبي حصار الجيش العثماني لبغداد الذي بدأ في ٢٢ صفر ١٠٤٠هـ (٣٠ سبتمبر ١٦٣٠م) في كتابه (فذلكه)، فيقول إنه بسبب الأمر الصادر خلافاً للقاعدة العامة جاء

---

(١٤) هو أحد أقلام الديوان الهمايوني، وكانت مهمته مسك دفاتر جنود سواري القبوقولية، وتنظيم تذاكر علوفاتهم ورواتبهم.

(١٥) ميزان الحق، ص ١٣٠.

(١٦) نشر إبراهيم متفرقة، ص ٣٠٠، ٣٠٣،٣٠٢.

(١٧) فذلكة، ١١٨/٢ وما بعدها.

الجيش كله إلى قرب المتاريس ورابط هناك، فارتبك الجميع ورفعوا خيامهم ثم نصبوها خلف المتاريس، وقام كل واحد بحفر خندق أمام خيمته، ثم يصور كاتب چلبي الأمور ببعض الصور الحية عندما يقول: "وكنا نقوم بتكويم القرب الجرداء ونفتح دفتر المقابلة ونجلس وراءه، وفي الليل نحفر حفرة ننام فيها مثل القبر"[١٨].

وفي عام ١٠٤١هـ (١٦٣١-١٦٣٢م) عاد كاتب چلبي مرة أخرى إلى إستانبول، وراح يواظب على دروس قاضي زاده، وقرأ عليه التفسير وإحياء العلوم، وشرح المواقف، والدرر، والطريقة المحمدية.

وفي عام ١٠٤٣هـ (١٦٣٣-١٦٣٤م) عندما انسحب الجيش تحت قيادة الوزير الأعظم محمد باشا إلى حلب لقضاء الشتاء هناك سافر كاتب چلبي من حلب إلى الحجاز، وفي عودته كان الجيش آنذاك في ديار بكر فقضى فصل الشتاء في تلك المدينة بمصاحبة بعض العلماء والتباحث معهم.

وفي عام ١٠٤٤هـ (١٦٣٤-١٦٣٥م) سافر مع السلطان مراد الرابع في حملته على رَوَان، وروى لنا بالتفصيل مشاهداته وانطباعاته عن تلك الحرب.

وبعد أن قضى قدر عشر سنوات يصاحب الجيش في الحروب والحملات المختلفة، و"تم له بذلك أمر الحج والجهاد" عاد إلى إستانبول بقصد التفرغ الكامل لتحصيل "العلم الشريف"، والانتقال من "الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر" كما هو شائع. وفي إستانبول أنفق على شراء الكتب إرثاً صغيراً كان له. وكان أثناء إقامته في حلب قد بدأ يسجل أسماء الكتب التي يراها في حوانيت الوراقين، وكان يميل بطبعه إلى مطالعة كتب التاريخ والطبقات والوفيات أكثر من غيرها، حتى استكمل قراءة كل ما وقع تحت يده منها في عام ١٠٤٦هـ (١٦٣٦-١٦٣٧م). ولما توفي أحد أقربائه عام ١٠٤٧هـ (١٦٣٨م) وكان تاجراً ثرياً ورث عنه عدة أحمال من الأقجه (اسم العملة العثمانية)، فانفق قدر ثلاثة منها على شراء الكتب، والباقي على تعمير وإصلاح دار له كانت تقع في الجانب الشمالي لجامع الفاتح[١٩]، وفي موضع متوسط بين الجامع المذكور وجامع السلطان سليم، ثم تزوج في السنة نفسها.

ولأنه كان قد عزم على الانقطاع للبحث والتأليف لم يشارك هذه المرة في حملة السلطان مراد الرابع على بغداد، وراح يواظب على دروس مصطفى أفندي الأعرج الذي اشتهر بالعلم

---

(١٨) نفس المصدر، ١٢٨/٢ وما بعدها.

(١٩) هو الجامع الذي بناه فاتح استانبول السلطان محمد الثاني.

والفضل[٢٠]، فقد وجد في ذلك الرجل عِلْماً وفيضاً يزيد عما وجده لدى كل العلماء الذين حضر دروسهم من قبل، فاتخذه أستاذاً له. كما أبدى الأستاذ أيضاً اهتماماً بكاتب چلبي يزيد عن اهتمامه بباقي طلابه. وقد قرأ على هذا الأستاذ الأندلسية في العروض، وهداية الحكمة (حتى نهاية الباب الرابع)، والملخص في علم الهيئة، وأشكال التأسيس في علم الهندسة مع شرحه[٢١].

وفي عام ١٠٤٩هـ (١٦٣٩-١٦٤٠م) واظب على سماع دروس الشيخ كُرْد عبد الله واعظ جامع آياصوفيا، وانتقل في العام التالي إلى سماع دروس الشيخ كچه جي محمد أفندي واعظ جامع السليمانية.

أما في عام ١٠٥٢هـ (١٦٤٢-١٦٤٣م) فقد قرأ على الواعظ ولي أفندي نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر العسقلاني، وبدأ يسمع دروسه في النخبة أيضاً والألفية. واستطاع في عامين أن يكمل أصول الحديث. ولأن هذا الواعظ كان قد أخذ هذا الفنّ عن الشيخ إبراهيم اللقاني في مصر، فإن كاتب چلبي كان يعد نفسه تلميذاً للأخير بالواسطة. كما قرأ كتاب تلخيص المفتاح على المولى ولي الدين تلميذ المولى أحمد حيدر السُّهْرَاني ومفتي أَرْمَنَاك، وقرأ كتاب الفرائض للإمام سراج الدين محمد وشمسية كاتبي في المنطق.

والتقى عدة مرات بالشيخ المصري سري الدين الرضا الذي جاء إلى إستانبول عام ١٠٥٧هـ (١٦٤٧م) وسمع بعض دروسه. وظل كاتب چلبي قدر عشر سنوات منكباً ليل نهار على القراءة والبحث، وقد ينسى نفسه أحياناً مع كتاب، ويظل الشمع مشتعلاً في غرفته من مغيب الشمس إلى مطلعها، فلا يكل ولا يمل أبداً. وكان يتردد عليه في تلك الآونة بعض الطلاب ليتعلموا على يديه.

واستطاع في عام ١٠٥٥هـ (١٦٤٥-١٦٤٦م) أن يشهد بنفسه بمناسبة حملة الجيش العثماني على جزيرة كريت كيف يجري إعداد الخرائط ورسمها، ورأى الكتب المؤلفة في ذلك الموضوع، واطلع على كافة الخرائط. وفي تلك الأثناء حصلت قطيعة بينه وبين كبير موظفي قلم المقابلة (باش خليفه)، لأنه قال له "إن العادة الجارية عند السلف هي تبديل النوبة على خلافة هذا القلم كل عشرين سنة، فهل النوبة لم تأت بعد علينا بحسب أصول الطريق"، فلما رد عليه "الباش خليفة" بأن النوبة "مدى الحياة"، بادر هو بطلب الاستعفاء. وعاش نحو ثلاث سنوات منزوياً بعيداً عن الحياة الوظيفية، وكان يدرس عليه في تلك الأثناء عدد من

(٢٠) انظر: فذلكه، ٢/٣٩٢

(٢١) انظر: جامع المتون، طوپ قاپى سراي، امانت خزينه سى، رقم ١٧٦٣، ٥ أ.

الطلاب في موضوعات مختلفة، لكنه مرض، فكان يقرأ كتب الطب، وطالع أيضاً كتب الأسماء والخواص بقصد البحث عن سبل ووسائل للتداوي من ناحية، والتنقيب عن الشفاء بالطرق الروحانية من ناحية أخرى.

وكان ينعزل عن الناس، ويتقرب إلى الله ثقة منه أن دعواته إليه بقلب سليم والتعويذات التي صنعها سوف تأتي بالنتيجة(٢٢). وفي أثناء عام ١٠٥٧هـ (١٦٤٧م) قام بتدريس شرح الأشكال في الهندسة والمحمدية لعلي قوشجي في الحساب لكل من مولانا محمد بن أحمد الرومي ولولده هو نفسه، كما علمهما من الزيج قاعدة استخراج دستور التقويم.

وفي أواخر عام ١٠٥٨هـ (١٦٤٨م) حصل على وظيفة "الخليفة الثاني" في القلم الذي كان يعمل فيه، وذلك بتوصية من شيخ الإسلام عبد الرحيم أفندي إلى الصدر الأعظم قوجه محمد باشا بسبب كتاب تقويم التواريخ، وذلك رغم ما بذله المعارضون له من مساعٍ لرفض طلبه وجهود مادية ومعنوية للحيلولة دون ذلك(٢٣). وكان عبد الرحيم أفندي هذا صديقاً ودوداً له، مطلعاً على سرّه، يحادثه في شئون الدولة، ويستعين بمشورته في موضوعات شتى(٢٤). والشاهد على ذلك أنه أفتى بأن كتاب ميزان الحق كتاب مفيد. وقنع كاتب چلبي بما كان يتقاضاه من نقود تكفيه على معيشته، ولم يطلب المزيد. وقد ظهر عدد كبير من مؤلفاته في غضون تلك السنوات الأخيرة، كما استطاع بمساعدة الشيخ محمد إخلاصي(٢٥) أن ينقل إلى التركية بعض الكتب اللاتينية.

وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من ذي الحجة عام ١٠٦٧هـ (٦ أكتوبر ١٦٥٧م) شعر كاتب چلبي بضيق وهو يشرب قهوة الصباح، فسقط الفنجان من يده ومات فجأة(٢٦). وكان قد كشف عن ذلك من قبلها لزوجته وخادمه، فقال لهما بعد أن سيطر عليه الخوف عندما أكل بطيخاً فجّاً في تلك الليلة، ثم اغتسل في الصباح بماء بارد: "ماذا يا ترى، فقد فعلنا أشياء تُنَاقِضُ بعضها بعضاً، حفظنا الله تعالى من الضر"(٢٧). وتكررت نفس الأقوال سبباً للوفاة في نسخة من كتاب ميزان الحق جرى استنساخها عام ١١٣٨هـ(٢٨) ، ولكن يضاف إلى الحادثة

---

(٢٢) انظر: كشف الظنون، علم الخواص، ٧٢٥/١ وما بعدها، وعلم العزائم، ١١٣٧/٢.

(٢٣) انظر: تقويم التواريخ، نشر إبراهيم متفرقة، ٢٤٧ وميزان الحق في اختيار الأحق، ١٤٠.

(٢٤) انظر: مثلاً فذلكه، ٢٩٣/٢ وتحفة الكبار، ١٢٥.

(٢٥) وهو الراهب الفرنسي الذي اهتدى إلى الإسلام.

(٢٦) انظر: تقويم التواريخ، أحداث ١٠٦٧هـ، ص ١٣٦.

(٢٧) انظر: جهاننما، طوپ قاپى، روان، رقم ١٦٢٤، ١/أ.

(٢٨) انظر: مكتبة الفاتح، رقم ٥٣٣٥، ٤٤/أ.

بعض التفاصيل. إذ تقول الروايات التاريخية إن كاتب چلبي قد فسدت معدته بسبب البطيخ غير الناضج الذي أكله مساءً، فذكر أن في صدره ألماً ظهر، "فاستعمل بعض المعاجين والمسهلات، وبينما هو يشرب القهوة بعدها تغيرت حاله، وسقط الفنجان من يده، وراح وهو في هذا الاضطراب يفتش بغير حيلة في كتب الطب، وإذا به يموت فجأة".

وهناك تباين في بعض المصادر حول تاريخ وفاته، إذ يُلاحظ أن تاريخ الوفاة في هذه المخطوطة كان مكتوباً على شكل (١٠٦٧) ثم تم مَسْحه من بعد وجُعل على شكل (١٠٦٨). كما ذكر محمد عُبَيْدي في (تذكرهٔ شكوفجيان) التي تحمل اسم (نتائج الأزهار) أن كاتب چلبي توفي عام ١٠٧٤هـ (١٦٦٣-١٦٦٤م) وهو خطأ[٢٩]. بينما يذكر مستقيم زاده في مجلة النصاب أنه توفي في أدرنة عام ١٠٦٤هـ وهذا خطأ أكبر[٣٠]. والواقع أن هذه المخطوطة كتبت بخط بديع الجمال، إلاّ أن عدم معرفة الناسخ للعربية جعلتها تفيض بالأخطاء.

ويذكر المؤرخ التركي المعاصر إسماعيل حامي دانشمند تاريخ وفاته على أنه ١٥ من ذي الحجة ١٠٦٨ هـ (٢٤ سبتمبر ١٦٥٧). إلاّ أنه لا يذكر كالعادة المصدر الذي اعتمد عليه[٣١].

ويقع قبر كاتب چلبي في مقبرة صغيرة تلاصق سبيل مياه في أسفل مدرسة بالقرب من جامع زَيْرَك بإستانبول، وهناك صورة فوتوغرافية لشاهد قبره القديم، نشرها شرف الدين يالتقايا في مقدمة كشف الظنون. وفي عام ١٩٥٣م شُيِّدت له مقبرة جديدة ونُقِشَ على شاهدها الجديد اسمه وتاريخ وفاته.

شخصيته:

يقول محمد عزتي بن لطف الله الذي اشترى معظم مؤلفات كاتب چلبي ومسوداتها من تركته عقب وفاته بعامين إنه كان رجلاً صاحب همّة، حَسَنَ الطباع، قليل الحديث، حكيم النزعة[٣٢].

ويصفه عشاقي زاده الذي صاحبه في شبابه - في عدة أبيات من الشعر التركي تقول[٣٣]:

مع الزاهد والعابد رفيق وشريك مشرب واحد

يرى لكل قاعدة ما يناسبها

(٢٩) انظر: نتائج الأزهار، مكتبة جامعة استانبول T.Y.2923 ٩/أ، ورقم T.y3386 ، ١٥/ب.

(٣٠) انظر: مكتبة حالت أفندي، رقم ٦٢٧، ورق٣٦١/أ وما بعدها.

(٣١) انظر: *İzahlı Osmanlı Tarihi Kronolojisi*, İst.1948, III, s.423.

(٣٢) انظر: جهاننما، مكتبة طوپ قاپی، رَوَان، رقم ١٦٢٤، ورق ١.

(٣٣) ذيل عشاقي زاده، مكتبة حفيد أفندي، رقم ٢٤٢، ورق ١٣١/أ.

وأرْسَلَ على هؤلاء المتعلمين الجدد
صوته الشجي كالناي حسناً
ولم يك قعيداً كالدجاجة ليلاً عند مسقاها
وهو صغيرٌ مع الصغير كبيرٌ مع الكبير[٣٤].

وقد حظي كاتب چلبي بسمعة طيبة، ونال تقدير الناس واحترامهم في حياته وبعد مماته، ولم يخرج على ذلك إلاّ رجل يدعى الشيخ محمد نظمي في كتابه الذي ألفه عام ١١٠٨هـ (١٦٩٦م) تحت عنوان "هدية الإخوان وعبرة الخلان"، فقد كتب عن العلاقة التي كانت بين قاضي زاده والشيخ السيواسي، وتعرض وهو يترجم لحياة الثاني لكاتب چلبي، فَقَدَحَهُ بلسان غليظ. والحق أن مؤلفات كاتب چلبي كلها تشهد على روحه السمحة، وموضوعيته في النقد، وحياده بين الأطراف المختلفة[٣٥]. فقد كان كاتب چلبي رجلاً وقوراً ينفر من الهجاء[٣٦] ، ولم يتحدث في كتابه عن الهزل والمزاح إلاّ قليلاً، إذ كان يعرف للأخلاق السامية قدرها، ولهذا امتدح كتاب (اخلاق علائي) في الأخلاق والحكم والسياسة بما لم يمتدح به كتاباً آخر، وامتدح مؤلفه قنالى زاده علي أفندي، فقال "هو أحسن من الجميع في نفس الأمر، شكر الله سعي مؤلفه، وجعله مثاباً ومأجوراً بسبب هذا التأليف الحنيف والتحرير اللطيف، ولعمري إنه كامل أخلاقه طيب أعراقه، من الأفاضل الأفراد، وآثاره تجذب بيد لطفها عنان الفؤاد". ونعلم أيضاً أنه كان من أصحاب الذوق الرفيع، إذ يهوى تربية الزهور، وكان يزرع نوعاً من السنبل الأزرق كثير الأوراق.

أعماله:

١ - فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار (بالعربية):

وهو أول كتاب شرع في تأليفه فكتبه بالعربية، ويضم مقدمة وثلاثة أصول وخاتمة، وهو في التاريخ الإسلامي العام. وتضم المقدمة أربعة فصول، يتحدث أولها عما يحتويه الكتاب من فصول وأبواب. ويتحدث الفصل الثاني عن معنى التاريخ وموضوعاته وفوائده. بينما يتعرض الفصل الثالث لأسماء الكتب التي كتبت في ذلك الموضوع، مرتبةً بحسب الترتيب الألفبائي، وتبدأ بالكتب العربية ثم الفارسية ثم التركية. أما الفصل الرابع فهو يتعرض لذكر القواعد والأصول التي يجب على المؤرخ الالتزام بها في الكتابة. وفي الأصل الأول الذي

---

(٣٤) رند وزاهد له همدم وهمرنك

(٣٥) انظر: هدية الإخوان، مكتبة. السليمانية، حاجي محمود أفندي، رقم ٤٥٨٧.

(٣٦) انظر: كشف الظنون، ١٠١٠/٢.

قسمه إلى قسمين، ثم جعل كل قسم إلى ثلاثة فصول، تحدث في أولهما عن بداية خلق المخلوقات، وفي الثاني عن الأنبياء والرسل، وفي الثالث عن الخلفاء الراشدين الأربعة. أما القسم الثاني فقد تحدث في فصله الأول عن الحكام الذين حكموا قبل ظهور الإسلام، وفي الفصل الثاني عن الحكام الذين جاءوا بعد الإسلام، مرتبين بحسب القرون، وفي الفصل الثالث عن المتغلبة، والخوارج، وعمّن ادعوا النبوة، ثم يردف ذلك بتتمة جمع فيها بعض المعلومات النافعة.

وفي القسم الأول من الأصل الثاني تحدث عن "الأمور الكلية لأحوال البشر"، فقسمه هو الآخر إلى ثلاثة فصول، تحدث في الفصل الأول عن هيئة الأرض والأقاليم، وفي الفصل الثاني عن الأقوام المختلفة وقبائل العرب، وفي الفصل الثالث عن الأسماء والألقاب والكنى والأنساب والوفيات وقواعد كل ذلك. وجعل القسم الثاني مخصصاً للمدن والرجال الذين تحدث عنهم في القسم الأول مرتبين بحسب الترتيب الألفبائي. أما الأصل الثالث والأخير فقد جعله للأحداث والوقائع التي مرت منذ الهجرة النبوية حتى حياة المؤلف، أي حتى عام ١٠٠٠هـ (١٥٩١م) وذلك بترتيب السنوات. والملاحظ أنه استفاد من تاريخ الجنّابي المعروف بالعيلم الزاخر في الأول والآخر. وقد فرغ المؤلف من كتابته في آخر شهر ربيع الآخر عام ١٠٥٢هـ (يوليه ١٦٤٢م). والنسخة الوحيدة الموجودة منه هي نسخة المؤلف المحفوظة الآن في مكتبة بايزيد العمومية تحت رقم (١٠٣١٨).

٢ - فذلكه (بالتركية):

وقد كتبه ذيلاً للكتاب الأول، فهو في التاريخ، ويبدأ من أول عصر المؤلف، أي قبل مولده (١٠١٧هـ/١٦٠٩م) من عام ١٠٠٠هـ (١٥٩١م) إلى عام ١٠٦٥هـ (١٦٥٤م). وقد رتب الأحداث فيه على السنين، وجعل في نهاية كل سنة ذكر موجز لوفيات رجال الدولة وحياة المشاهير من العلماء والشعراء، كما تحدث عن مؤلفات مَنْ له مؤلفات منهم. واستفاد من الكتب الأخرى في الأحداث التي لم يشهدها، ولا سيما حسن بكزاده، كما نقل عن پچوي وجَرّاحْزَاده وپيري پاشا زاده وفخري. وينتهي الكتاب بحادثة عصيان إبشير باشا عام ١٠٦٥هـ (١٦٥٤م). وقد طبع ذلك الكتاب في مجلدين في مطبعة جريدة الحوادث بإستانبول (المجلد الأول ٤١٢ ص سنة ١٢٨٦هـ، والمجلد الثاني ٣٩٨ ص سنة ١٢٨٧هـ).

٣ - تحفة الكبار في أسفار البحار (بالتركية):

كان كاتب چلبي قد حضر حرب كريت التي بدأت عام ١٠٥٥هـ (١٦٤٥م)، فشاء أن يروي الأحداث والوقائع التي مرت منذ العهد العثماني الأول حتى عام ١٠٦٧هـ (١٦٥٦م)، وهو

العام الذي شرع فيه كتابة هذا الكتاب، سواء في البر أم البحر. فقد شهد المؤلف بعينيه الهزائم والانكسارات التي لحقت بالعثمانيين، ومدى طغيان الأعداء وغرورهم، وكل ذلك نتيجة للتدابير الناقصة والأخطاء التي ارتكبها المسئولون، فروى من خلال هذا الكتاب حياة قباطنة الماضي الشجعان وحروب قراصنة البحر والمجاهدين، ثم الآراء والتدابير التي كان يتخذها بعض المسئولين والعقلاء، مستهدفاً تنبيه العثمانيين وإنقاذهم من حالة الفتور التي وقعوا فيها. ولهذا السبب كان – وهو يتحدث بخاصةٍ عن الهزائم التي تعرض لها العثمانيون في بداية حملتهم على جزيرة كريت – يشير بإيجاز إلى أسباب كل هذه الهزائم، والسبل الكفيلة للحيلولة دون وقوعها، من خلال كشفه للأخطاء وسوء التدبير. وقد تم طبع ذلك الكتاب في غرة ذي القعدة ١١٤١هـ (١٧٢٩م) في مطبعة إبراهيم متفرقة، وكان ترتيبه الثاني بين الكتب المطبوعة آنذاك، كما زوّده إبراهيم متفرقة بسبع صفحات للمندرجات وصحيفتين لأخطاء الطباعة وعدة خرائط مهمة وأشياء أخرى. وكانت طبعته الثانية عام ١٣٢٩هـ (١٩١٩م) في مطبعة البحرية (١٢+١٦٦+٢ ص). وقد صدرت له مؤخراً طبعة محققة نشرها الدكتور إدريس بستان[٣٧].

٤ - تقويم التواريخ (بالتركية):

وهو تاريخ إسلامي عام، يضم الوقائع والأحداث التي ذكرتها التواريخ المختلفة، منذ هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض حتى عام ١٠٥٨هـ (١٦٤٨م)، وهو بمثابة جدول زمني أو ثبت بالأحداث التي مرت في الكتب التي كتبها قبل ذلك، وخاصة كتاب الفذلكة العربي، وفرغ من كتابته في شهرين عام ١٠٥٨هـ (١٦٤٨م). وهو الكتاب الذي أرسل إلى الصدر الأعظم قوجه محمد باشا في نفس سنة الفراغ منه بواسطة شيخ الإسلام عبد الرحيم أفندي، وتمت عندئذ ترقية كاتب چلبي إلى درجة الخليفة الثاني. وللكتاب عدة ذيول، أولها الذي كتبه محمد شيخي أفندي ووصل به حتى عام ١١٤٤هـ (١٧٣١م)، والذيل الثاني هو الذي كتبه إبراهيم متفرقة ووصل به حتى عام ١١٤٦هـ (١٧٣٣م)، ثم قام إبراهيم متفرقة بطبع الكتاب الأصلي مع هذين الذيلين عام ١١٤٦هـ (يونيه ١٧٣٣م).

٥- تاريخ فرنكى ترجمه سى (بالتركية):

وهو ترجمة تركية لكتاب يوهان كاريون Johann Carion بعنوان *Chronik*، وقام بهذه الترجمة كاتب چلبي مع الشيخ محمد إخلاصي في إستانبول عام ١٠٦٥هـ (١٦٥٤م)، ثم أضيفت لتلك الترجمة بعض ذيول مختصرة أخرى. وقد فعل فيه مثلما فعل في كتاب "لوامع

---

37 *Tuhfetü'l-Kibâr fi Esfâri'l-Bihâr*, Kâtib Çelebi, Hazırlayan: İdris Bostan, Ankara 2008.

النور" تماماً، ولأن قصد المترجم ليس هو الترجمة المباشرة، بل ليكون إضافة يضعها على الأعمال التاريخية الأخرى التي كتبها فلم ينظر لتحسين عباراته ولم يراع نظام الكلام وقواعده. وصرح بأنه سوف يقوم بتصحيح الأخطاء الواقعة وهو يضيف تلك الترجمة إلى التواريخ الأخرى. وبعد الترجمة التي تشغل ١٨٨ صحيفة من هذه الحولية تأتي عدة ذيول أضيفت إليها. ويضم الذيل الأول حديثاً عن السلطان سليمان القانوني وطرد المسلمين من إسبانيا وإرغام قسم منهم على تغيير دينه. وهذا الذيل تم نقله عن تاريخ الراهب الروماني هوراتيوس تورسللينو Horatius Torsellino. ثم يلي ذلك ذيلان آخران.

٦ - تاريخ قسطنطينيه وقياصره (رونق السلطنة) (بالتركية):

وهو كتاب نقله كاتب چلبي ترجمة واختصاراً "من كتاب كبير" حسب قوله، ليضم حوادث وقعت في الشرق حتى سنة ١٥٧٩م، وأصل الكتاب وضعه عدة مؤلفين، ثم جرى تذييله بعد ذلك بملوك مدينة القسطنطينية، وهؤلاء المؤلفون هم: يوهانس زواراس نيستاس اكومينات Johannes Zouaras Nicestas Acominate ونيسافوروس Nicephorus Gregoras والأثيني لايونيكوس شالكونديل Laonikos Chalcondyle. والكتاب الأصلي الذي وضعه هؤلاء المؤلفون تم طبعه في فرانكفورت عام ١٥٨٧م.

٧ - إرشاد الحيارى إلى تاريخ اليونان والروم والنصارى (بالتركية):

وهو كتاب تاريخ الدول المجاورة لدول المسلمين، وفي تاريخ حكامها ونظم الحكم فيها. جمعه كاتب چلبي من الكتب الأجنبية التي حاول ترجمتها، مثل أطلس مينور وغيره، بقصد تعريف المسلمين بأحوال وأوضاع تلك الدول. وهو عبارة عن رسالة تقع في ٥٨ ورقة، وتضم مقدمة وعدة فصول. وكان قد بدأ كتابتها في الرابع عشر من كانون الثاني عام ١٦٥٤م، وجعلها على قسمين، تحدث في الأول عن الأديان في أوربا، بينما خصص الثاني لعادات وقوانين الحكام فيها، كما تحدث عن نظم الإدارة والديمقراطية والجمهورية وأصول الانتخاب، وغير ذلك مما تقدم الغرب فيه وعلاقاتهم بالعثمانيين.

٨ - جهاننما (ومعناه: مرآة العالم) (بالتركية):

وهو كتاب يحوز أهمية تتجاوز تصور العثمانيين للجغرافيا، ونقطة تحول عظيمة من نظرة الشرقيين إلى نظرة الغربيين في علم الجغرافيا. وقد جرت ترجمته عدة مرات إلى اللغات الأوربية، وكان عوناً كبيراً للرحالة الذين زاروا القسم الآسيوي من تركيا، لا سيما في القرن التاسع عشر. وقد جعله صاحبه على قسمين، تحدث في الأول عن البحار والأنهار والجزر، بينما تحدث في الثاني عن اليابسة، فذكر المدن مرتبة ترتيباً ألفبائياً، وعن الممالك التي تم

اكتشافها بعد القرن السابع للهجرة (الثالث عشر الميلادي). وتم طبع هذا الكتاب في مطبعة ابراهيم متفرقة في ١٠ محرم ١١٤٥هـ (٣ يوليه ١٧٣٢م). فكان ترتيبه الحادي عشر في الكتب التي تم طبعها في تلك المطبعة.

٩ - لوامع النور في ظلمات أطلس مينور (بالتركية):

وهو الكتاب الثاني في الجغرافيا لكاتب چلبي، وهو ترجمة لكتاب أطلس مينور الذي وضعه جيرهارد ميركاتور (G. Mercator) و ل. هونديوس (Lud. Hundius). وبدأ كاتب چلبي في ترجمته عن اللاتينية بمساعدة الشيخ محمد إخلاصي في أواسط المحرم ١٠٦٤هـ (أوائل ديسمبر ١٦٥٣م). وهو يتحدث فيه عن جغرافية الدول الأوربية واحدة واحدة، ابتداءً من القطب الشمالي وجزيرة ايسلاندا، فيذكر الأنهار والجبال والمدن في خليط من المعلومات الجغرافية والتاريخية ونظم الحكم. أما الأقسام المخصصة في الكتاب لآسيا وإفريقيا وأمريكا فهي ليست بهذا التفصيل. وتوجد مخطوطات ذلك الكتاب محفوظة في أغلب مكتبات إستانبول، أما نسخة المؤلف فهي في مكتبة نورعثمانيه تحت رقم (٢٩٩٨) وتضم ٤٢٩ ورقة.

١٠ - إلهام المُقَدَّس في فيض الأقدس (بالتركية):

وهي رسالة كتبها كاتب چلبي عندما كان منشغلاً بعلم الهيئة، وسيطرت علىٰ ذهنه ثلاث مسائل، فأرجعها إلى مسائل فقهية وطلب الجواب عنها من علماء عصره. الأولى هي تحديد أوقات الصلاة والصوم في البلدان الشمالية، والثانية هي إمكانية طلوع وغروب الشمس من جهة واحدة في نقطة من العالم، والثالثة هي وجود أو عدم وجود بلد غير مكة يمكن أن تكون قبلةً، مهما توجه الإنسان بوجهه. ونقل الإجابة على ذلك في المسألة الأولى من آراء فقهاء الحنفية، بينما استشهد في المسألة الثانية برأي "سدرة المنتهى" لتقي الدين أبي بكر محمد، وشرح المسألة الثالثة مستعيناً برأي مولانا خسرو حول تعريفه للقبلة.

وتوجد مخطوطات تلك الرسالة في مكتبات إستانبول.

١١ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بالعربية):

وهو المعجم الببليوغرافي الضخم الذي استغرق كاتب چلبي عشرين سنة في كتابته بالعربية، وعرف به بين العلماء والباحثين. وقد رتّبه ترتيباً ألفبائياً. فهو يذكر اسم الكتاب في موضعه ثم يتبعه باسم مؤلفه وتاريخ التأليف، ويذكر الكتب الأخرى المتعلقة بموضوعه، ثم شروح الكتاب ومختصراته وحواشيه، والموضع الذي مر فيه قبل ذلك أو سيمر فيه. أما الكتب التي لا تحمل عناوين فقد وضعها إما في العلم الذي ترجع إليه، وإما بعد المؤلف الذي تنسب إليه. كما تحدث ضمن تواريخ تأليف الكتب عن أبوابها والفصول التي تحتويها،

وأورد فقرات من أولها لدفع الالتباس. وقد وقف في مقدمة كتابه التي قَسَّمَهَا إلى أقسام مختلفة عند ماهية العلم وقيمته وتقسيمه وتاريخه، وذكر كافة العلوم وتعريفاتها وموضوعاتها. واستفاد في تلك المقدمة من كتاب "مفتاح السعادة" لطاشكوبري زاده، كما استعان بمقدمة ابن خلدون، وغيرهما كالسبكي صاحب "الطبقات".

وقد قام المستشرق الألماني فلوجل بطبع المجلدين الأولين خلال سنوات ١٨٣٥-١٨٥٨م في ليبزغ وفيهما النص العربي مع الترجمة اللاتينية، بينما طبعت المجلدات الخمسة الأخرى في لندن مع الكشافات. ثم ظهرت في إستانبول طبعة شرف الدين يالتقايا وكليسلي رفعت عام ١٩٤١-١٩٤٣م في مجلدين كبيرين بالعربية مع مقدمة بالتركية، وهي الطبعة الأكثر انتشاراً بين أيدي الباحثين. ولا زال الكتاب بحاجة إلى الإخراج في طبعة جديدة محققة مفهرسة.

وقام إسماعيل باشا البغدادي بإعداد ذيل عليه سماه "إيضاح المكنون".

١٢ - تحفة الأخيار في الحكم والأمثال والأشعار (باللغات الثلاث):

وهو كتاب في المحاضرات، رتبه على حروف المعجم، فهو نوع من الموسوعات، أو هو بتعريف المؤلف "سمير الخلوة". وقد جمعه من الكتب المختلفة، بثلاث لغات هي العربية والتركية والفارسية في الفلسفة والأدب، وفي الأمور المتعلقة بالعائلة وإدارة البلاد، وفي الطيور والحيوان والأعشاب، وفي المِلَحِ واللطائف والحكايات، وفي بعض النقاط المتعلقة بالنحو والصرف، وفي الأشعار والأمثال وغير ذلك.

وتوجد نسخة منه في مكتبة السليمانية (اسعد أفندي ٢٥٣٩/٥٦٥ ورق).

١٣ - دُرر منتثرة وغرر منتشرة (بالعربية):

وهو مجموع جمعه كاتب چلبي عندما كان يقرأ ويدرس كتب الوفيات والطبقات من أجل إعداد كتابه في التراجم، فهو مختارات من نكات مفيدة ومسائل وبحوث مختلفة. ولم يطلق عليه اسماً خاصاً في المقدمة، وإنما قال: "هو درر منتثرة وغرر منتشرة وزواهر مختلفة وجواهر غير مؤتلفة مشتملة على فوائد وافية ... الخ". فهو جمع لأمور مختلفة قد لا يربط فيما بينها رابط، مثال ذلك: النِّية، والحُلَّة، واستقبال القِبْلة، وآداب الأكل، والافتقار، والذل، والجنين في بطن أمه، واليقين، والطمأنينة، وشرط صحة الملوك، والصلاة في جوف الكعبة، وعلم الكلام، وعقوق الأستاذ، وموضوع العبادة، والسرّ المكتوم، وعيادة المريض، وذم الشعر، وفتنة الأشعرية، والحنفية، وإنكار الكرامات، ومزج الخمر بالماء، والشطرنج، وبغداد، والجواب الحاضر، والخوف، والرجاء، والقناعة، وولد السوء، ورد القاضي كتاب السلطان،

والافتخار بالبخل، ونَحْوُ الفقهاء.. وغير ذلك مما استخرجه من كتب الغزالي، والحارث المحاسبي، والشافعي، والاصطخري، وأبي ثور، وابن جرير، وابن سريج، وأبي القاسم القشيري، والسبكي، والذهبي، وغيرهم من المؤلفين.

وتوجد النسخة الوحيدة التي هي بخط المؤلف في مكتبة نورعثمانية بإستانبول تحت رقم (٤٩٤٩)، وتقع في ٢٤٣ ورقة.

١٤ - دستور العمل في إصلاح الخلل (بالتركية):

كان كاتب چلبي قد شارك هو الآخر في اجتماع الديوان الهمايوني [السلطاني] الذي انعقد عام ١٠٦٣هـ (١٦٥٣م) بقصد بحث الأسباب التي أدت إلى تناقص الإيرادات وزيادة النفقات في ميزانية الدولة، وإيجاد حلول لعجز الميزانية الذي يقتضي جباية ضرائب العام التالي مقدماً. وباعتباره رجلاً له تجاربه في الحرب والسلم وعِلْمه بتاريخ السلف فقد قام بوضع رسالة في هذا الصدد من مقدمة وثلاثة فصول ونتيجة، ثم جعل لها ذلك العنوان. فذكر في المقدمة أن حياة المجتمعات تشبه حياة الأفراد من حيث انقسامها إلى مراحل مختلفة، وأن لكل مرحلة خصائصها التي تتميز بها، وأن الدولة العثمانية قد ولجت مرحلة الركود، وأن على المسئولين الذين بيدهم زمام الأمور أن يروا ذلك ويتخذوا له التدابير اللازمة، وأن القاعدة العامة في علاج الخلل أن تتضمن الجانب العضوي والجانب النفسي معاً، وأن لكل مرحلة علاج خاص بها.

أما في الفصل الأول فهو يتحدث عن أحوال الرعية، فيقول إن العلماء والعسكر وأصحاب التيمار [أي الاقطاعات] والرعايا يشكلون الأركان الأربعة الأساسية في المجتمع الذي يحكمه السلطان بواسطة رجال الدولة.

ويقول إن هذه الأركان تشبه الأخلاط الأربعة في البدن، فإذا استفادت من بعضها البعض واتسق عملها صلح البدن، وصلح نظام المجتمع. ثم يشير إلى أنه رأى بعينيه حالة الخراب التي وصلت إليها كافة القرى أثناء سفره على مدى اثنتي عشرة سنة، ويعدد أسباب ذلك في فداحة الضرائب وانتشار الرشوة ومخالفة القانون، ثم يقول محذراً: إنه في حالة الاستمرار في ذلك فلا مفر من خراب البلاد مع انتشار الثورات والمظالم.

وفي الفصل الثاني يتعرض لأحوال العسكر، فيقول إن النفقات زادت نتيجة للازدياد المستمر في أعداد العسكر، ثم جرى تخفيض عددهم إلى النصف، وكان هناك تدابير أخرى عديدة يمكن اللجوء إليها دون تخفيض عدد الجند.

أما في الفصل الثالث فهو يتحدث عن أوضاع خزانة الدولة، بينما يسرد في الخاتمة السبل والوسائل التي يراها مناسبة لدفع الخلل.

وقد طبعت هذه الرسالة في إستانبول عام ١٢٨٠ مع رسالة (عين علي) المعروفة باسم "قوانين آل عثمان".

١٥ - رجم الرجيم بالسين والجيم:

وهو كتاب وضعه عام (١٠٦٤-١٠٦٥م)، وجمع فيه المسائل الفقهية الغريبة والفتاوى المعضلة العجيبة من خطوط مشايخ الإسلام. وهو كتاب مفقود لم يعثر عليه حتى الآن.

١٦- بيضاوي تفسيرينك شرحي (شرح تفسير البيضاوي) (بالتركية):

كان كاتب چلبي قد قرأ تفسير البيضاوي من أوله على يدي أستاذه الشيخ مصطفى الأعرج، فبدأ في غضون عام ١٠٥٢هـ (١٦٤٣م) يكتب شرحاً له، ولكن يبدو أن المؤلف لم يستمر في هذا العمل، أو أن هذا الشرح مفقود.

١٧ - شرح المحمدية (بالتركية):

وهو شرح كتبه كاتب چلبي على محمدية علي قوشجي في علم الحساب في غضون عام ١٠٥٧هـ (١٦٤٧م) برجاء من تلميذه مولانا محمود ابن العالم الآقحصاري أحمد الرومي، ثم سماه "حسن الهدية". فقد كانت تجمعه بذلك التلميذ ألفه وصحبة علمية دون سائر التلاميذ. ولما وصل الشرح إلى باب الجبر والمقابلة في غضون العام التالي توفي ذلك التلميذ، فَتَرك صاحبنا الشرح على حاله دون تبييض. ويبدو أن مخطوطته ضاعت.

١٨ - جامع المتون من جل الفنون:

وهو مجموع لمتون من الخلاصات والشروح التي قرأها كاتب چلبي أو دَرَّسَها لتلامذته في موضوعات مختلفة، ثم أضاف إليها فيما بعد مقدمات نافعة تحت عنوان تتمة وتذييل. وتلك المقدمات هي: مقدمة في علم التفسير من إتمام الدراية، وتعليم المتعلم، وبداية الهداية في التذكير، ومقامات الحريري في الأدب، وجهينة الأخبار في التاريخ. أما المتون التي جمعها هذا الكتاب فهي: الشافية، والكافية، والوضعية العضدية، وتلخيص المفتاح، والأندلسية، والموجز، واللمعة في الصناعة الشعرية، ومنار الأنوار، والنقاية مختصر الوقاية، والسراجية، ونخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، والأربعين النووية، ومقدمة الجزرية، والشاطبية، والعقيلة الرائية للشاطبي، والتعرف، والتهذيب، والشمسية في المنطق، ومتن

السمرقندي، وهداية الحكمة، والرسالة العضدية، وقانونچه، والملخص في الهيئة، وسي فصل، وأشكال التأسيس، والشمسية في الحكمة العملية.

والنسخة الوحيدة الموجودة من هذا المجموع محفوظة في مكتبة سراي طوپ قاپي (امانت خزينه سى، ١٧٦٣)، وهي تقع في ٦٦٦ ورقة.

١٩ - ميزان الحق في اختيار الأحق (بالتركية):

وهو آخر كتابٍ وضعه كاتب چلبي، إذ انتهى من تأليفه في شهر صفر عام ١٠٦٧هـ (نوفمبر ١٦٥٦م). وقد كتبه حول عدة مسائل كانت مثاراً للجدل في أيامه، مثل الخلاف حول حياة الخضر (عليه السلام) أو مماته، والتغني، والرقص والدوران، والتصلية والترضية، والتبغ أو الدخان، وشرب القهوة، وتعاطي الأفيون والمكيفات، وفقر أو غنى أبوي النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وإيمان فرعون، والاختلاف في الرأي حول مكانة الشيخ محيي الدين ابن عربي، وسبّ يزيد، والبدعة، وزيارة القبور، والصلاة في ليالي القدر والجمعة الأولى من رجب والنصف من شعبان، والمصافحة، والانحناء، والأمر بالمعروف، والأمة، والرشوة، والحديث حول أبي السعود أفندي والشيخ محمد البركوي، والحديث عن السيواسي وقاضي زاده. وقد طبع ذلك الكتاب الصغير عدة مرات في أعوام (١٢٨١هـ) (١٨٦٤م) و(١٢٨٦هـ) (١٨٦٩م) و(١٣٠٦هـ) (١٨٨٨م).





كاتب چلبي وكتابه سلم الوصول

أكمل الدين إحسان أوغلي

قررت منظمة اليونسكو الاحتفال هذا العام (٢٠٠٩م) مع العالم كله بالذكرى الأربعمائة على مولد العالم العثماني الكبير كاتب چلبي، ويسعدنا اليوم بهذه المناسبة أن نقدم إلى دنيا العلم عَمَلَهُ الثاني الأهم في اعتقادنا وهو كتاب "سلم الوصول إلى طبقات الفحول"، هذا المعجم البيوغرافي الأشمل في الأدبيات الإسلامية، وذلك بعد عمله الخالد الأول، ألا وهو المعجم الببليوغرافي الأشمل أيضاً "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون". وقد كنا قبل نحو عشر سنوات ونحن نـدير فعاليات إرسيكا قد عقدنا العزم على القيام بتحقيق كتاب أساسي من الكتب المخطوطة في الثقافة الإسلامية ليكون خدمة ثقافية مهمة في ساحة جديدة. وكانت الرغبة أن يكون العمل الذي ننشره في التراث الثقافي خلال العصر العثماني الذي يشكل واحداً من العناوين الهامة في فعاليات إرسيكا، فوقع الإختيار على كتاب "سلم الوصول" الذي وَضَعَهُ كاتب چلبي ولم يكن منشوراً حتى ذلك اليوم.

ولاشك أن كاتب چلبي واحد من أهم الوجوه التي عرفها القرن السابع عشر الميلادي، ذلك العصر الذي لم يلق اهتماماً كبيراً من الباحثين وكان يوصف حتى زمن قريب بأنه بداية عهد "الانحطاط" في الحضارة الإسلامية. وكاتب چلبي ذلك المثقف العثماني كان واحداً من أبرز الشخصيات التي عرفتها الأمة التركية وعرفتها الدولة العثمانية والعالم الإسلامي كله على الإطلاق. فإن انفتاحه في ذلك العهد المبكر على ثقافات مختلفة، ولاسيما على ثقافات وعلوم الغرب قد جعله يتبوأ مكانةً تليق به بين الرواد الذين أقاموا أولى الاتصالات فيما بين الشرق والغرب. ولاشك أن ظهور شخصية بارزة أخرى مثل أوليا چلبي في نفس القرن ثم قيامه في رحلاته التي سجلها في كتابه (سياحتنامه) بالكشف عن الحياة الاجتماعية فوق الرقعة الجغرافية الواسعة التي يضمها العالم العثماني بكل ثرائها وتنوعها، ثم قيام كاتب چلبي بوضع

معجم بيوغرافي واسع يشمل الساحة الثقافية للعالم الإسلامي والعثماني لهو دليل مهم على أن الثقافة العثمانية حافظت على حيويتها في ذلك العصر[1].

وقد توفي كاتب چلبي في سن التاسعة والأربعين، ومع ذلك فقد استطاع بكتبه التي أنجزها خلال تلك الحياة القصيرة مع كثرة عددها وتنوع موضوعاتها فضلاً عن محتواها وأصالتها أن يحتل مكانة متميزة في الأدبيات العثمانية والإسلامية. واستطاع كاتب چلبي بذهنه الوقاد وفكره النقاد وإحاطته الموسوعية وأعماله المنظمة التي تركها لنا أن يُتْحِفَ دنيا العلم ومن خلال منهج علمي لم يُدركه أحد في عصره بتراجم رجال برزوا في تاريخ الحضارة الإسلامية وأدبياتها. وقد حظيت تلك الأعمال باهتمام رجال العلم في الغرب منذ عهد مبكر، ولا يزال كل كتاب منها يحافظ على قيمته كمرجع لا يمكن الاستغناء عنه في بابه حتى اليوم.

كان كاتب چلبي يجيد التركية والعربية والفارسية، أي (الألسنة الثلاثة) بالمصطلح العثماني، ولهذا فقد استطاع بخبرته وبراعته العاليتين الاستفادة في تأليف أعماله من المصادر والمراجع المدونة بتلك اللغات الثلاث. فإلى جانب استخدامه الأوسع للغة التركية التي هي لغته الأم قد استفاد بكل يسر من اللغتين الأخريين عند الحاجة. ويدلنا اختياره للغة معينةٍ منها في تأليفه أو ترجمته لأحد الكتب على ماهية الهدف الذي قصده من ذلك الكتاب وعلى كتلة القراء التي أرادها له. ولسوف يبدو لنا عند الاطلاع على قائمة أعماله ماهية المسوغات في اختيار لغة معينة لتأليف كتابٍ معين.

ففي الأحوال التي رأى فيها ضرورة مخاطبة النخبة العثمانية وزمرة رجال الحكم في عاصمة الدولة استخدم اللغة التركية لكتابه، أي أنه استخدم اللغة التركية دائماً وهو يضع أعماله الهامة في الجغرافيا، وأيضاً وهو يعبر عن آرائه في شئون الدولة والمجتمع، وكذلك وهو يضع كتبه المتعلقة بالتاريخ، سواء كان في تاريخ أوروبا أم كان في تاريخ الدولة العثمانية. وكان عند إعداده لأعماله يسعى للاستفادة من المصادر المعاصرة التي جاءت بالمعلومات والمعارف الحديثة التي تنير عقول الفئات التي يخاطبها وتتيح لها التعرف على تاريخها وتاريخ الأمم الأخرى المناهضة لها والتعرف من ثم على تاريخ وجغرافيا العالم،

---

(١) يصف الكاتب الأديب أحمد حمدي طاكپنار القرن السابع عشر "بأنه عصرنا الكلاسيكي الذي تشكلت فيه أذواقنا بشكل تام" للمزيد من المعلومات أنظر:

Ahmet Hamdi Tanpınar, *Saatleri Ayarlama Enstitüsü*, (İstanbul, 2008), s. 261, 262; a.g.y., *Beş Şehir*, (İstanbul, 2001), s. 85.

وهناك دراسة أخرى تنقد ذلك العصر على ضوء المصادر التي ظهرت فيه، أنظر:

Mehmet Öz, *Kanun-ı Kadîmin Peşinde, Osmanlı'da "Çözülme" ve Gelenekçi Yorumları* (İstanbul, 2005).

فوضع نصب عينيه أن يكون خطابه لهم بلغتهم التي يفهمونها بسهولة، أي باللغة التركية التي هي اللغة الرسمية للدولة. وقد استفاد كثيراً من الأدبيات الفارسية لكنه لم يكتب بالفارسية. وكان كاتب چلبي عندما يرى مخاطبة العلماء والمثقفين الموجودين داخل وخارج رقعة الأراضي العثمانية المنسوبين إلى أقوام ومجموعات عرقية متباينة فإنه يختار لهم اللغة العربية، اللغة العلمية المشتركة. ومن أبرز الأمثلة على ذلك – إلى جانب كتابيه– كشف الظنون، وسلم الوصول - كتابه المعروف اختصاراً باسم فذلكة، والموسوم بعنوان: "فذلكة أقوال الأخيار بعلم التاريخ والأخبار"، والموصوف بالتاريخ الكبير الذي هو تاريخ عام بالعربية يبدأ من بدء الخليقة حتى سنة ١٠٥١هـ/١٦٤١م[٢]. ولاشك أن قيام كاتب چلبي بجعل اللغة العربية لغةً لهذه الأعمال الموسوعية الثلاثة إنما يكون قد قدم خدمة جليلة في المجال العلمي، كما يصبح جديراً بأن يكون عَلَماً من أعلام تاريخ الثقافة الإسلامية بعد هذه المؤلفات التي لا يمكن الاستغناء عنها في الأدبيات الإسلامية[٣].

والناظر في "كشف الظنون" – الذي هو قمة من قمم تاريخ الأدبيات الإسلامية - يدرك أن كاتب چلبي قد أتحفنا بمعجم ببليوغرافي لا نظير له بما قدم من معلومات حول ما يقرب من خمسة عشر ألف كتاب؛ كما أنه أعد في مجال التراجم كتاباً آخر يعدله في القيمة سَمّاه: "سلم الوصول إلى طبقات الفحول". وكان هناك عدد محدود من الناس حاولوا الاستفادة من هذا الكتاب الذي ظل في حالة مخطوط حتى اليوم. وها نحن بعد جهود مستمرة منذ عام ١٩٩٨م نقدم هذا العمل الهام لخدمة الباحثين نصاً محققاً تحقيقاً علمياً جادّاً.

ويضم هذا المعجم البيوغرافي في مجمله نحو 8561 ترجمة. وقد جرى ترتيب التراجم في قسمه الأول بحسب أسماء الأشخاص، أما في القسم الثاني فإنه يتحدث عن كنى وأنساب وألقاب هؤلاء الأعلام وغيرهم بطريقة منهجية معينة.

---

(٢) قام المؤرخ المصري سيد محمود سيد ابراهيم بإعداد القسم الخاص بتاريخ العثمانيين منه، وقام بنشره مجمع التاريخ التركي في أنقرة (٢٠٠٩).

(٣) من المعروف أن العلماء العثمانيين كانوا بوجه عام يعرفون تلك اللغات الثلاث (أو بحسب تعبيرهم الألسنة الثلاثة)، وكانوا يكتبون أعمالهم بالعربية والفارسية إلى جانب لغتهم الأم (اللغة التركية)، وكان الأدب التركي واقعاً تحت تأثير الأدب الفارسي. ولأجل هذا كان على العالم العثماني الذي يود التقدم في مجال العلوم والآداب ويفهم جيداً ما كتب فيها أن يقدم على تعلم تلك اللغات الثلاث وإتقانها. بل إن السلاطين الكبار مثل السلطان الفاتح والسلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانوني كانوا يتقنونها، وكان منهم من قرض الشعر بالفارسية، ويوجد للسلطان سليم ديوان شعر فارسي. وهناك كثير من العلماء العثمانيين ممن كانوا يستخدمون لغتين منها أو الثلاثة معاً في مؤلفاتهم، وعلى سبيل المثال فان قاضي زاده وعلي قوشجي وضعا مؤلفاتهما بالفارسية أو العربية، بينما استخدم التركية والعربية في الكتابة كل من محمد بن الكاتب سنان ومصطفى بن علي الموقت وقنالي زاده والبركوي وأبي السعود أفندي؛ أما ميرم چلبي وابن كمال باشا وفضولي فقد استخدموا اللغات الثلاث.

وكان الذين تعرضوا لحياة وأعمال كاتب چلبي وخاصة المرحوم أورخان شائق گوكياي قد تحدثوا بشكل عام قبل ذلك عن هذا الكتاب. كما لم نشهد أحداً تناول "سلم الوصول" بدراسة علمية جادة غير باحث أو اثنين(٤)، ورأى البعض أن ينشروه ولو في شكل صورة طبق الأصل (Facsimile) في عام ١٩٥٧م وعام ١٩٩٤م، لكن ذلك الأمر لم يتحقق(٥). ولم يُقْدِم أحد حتى اليوم على نشر نص محقق للكتاب بشكل من الأشكال، لا في تركيا ولا في خارجها. ومن ثم فإن نشر الكتاب من طرف إرسيكا يُعد خطوة هامة تصدرت جهودنا المتواضعة التي نبذلها لإلقاء الضوء على تاريخ العلم والثقافة في العهد العثماني. ولاشك أن إخراج الكتاب على هذا النحو من مسودة المؤلف قد اقتضى جهوداً طويلة متعددة الجوانب والاتجاهات، وأمكن بفضل مشاركة العديد من الزملاء أن يخرج على هذه الصورة.

ويتحدث كاتب چلبي عن "سلم الوصول" وهو يسرد سيرته الذاتية في كتابه "ميزان الحق"، فيقول: "لقد تم تبييض المجلد الأول من كتابنا في الطبقات الموسوم بسلم الوصول إلى طبقات الفحول خلال سنتي إحدى وستين واثنتين وستين (١٠٦١-١٠٦٢هـ) (١٦٥١-١٦٥٢م)، فكتبنا فيه تواريخ الكبار من الأولين والآخرين".(٦) وسوف نشير إلى هذا الكتاب اختصاراً باسم "سلم الوصول"، وهو يتضمن بوجه عام مقدمة وقسمين ثم خاتمة. وجرى ترتيب القسمين الأساسيين على الحروف الألفبائية، وجاء كل حرف في باب. ويذكر كاتب چلبي في نهاية القسم الثاني أنه انتهى منه في سنة ١٠٥٣هـ/١٦٤٣م، ثم يعود المؤلف فيضيف إلى هذا القسم عدداً من الصفحات تتضمن "فوائد" في موضوعات مختلفة، ثم يذكر تاريخ الانتهاء منها بسنة ١٠٥٨هـ/١٦٤٩م.

النسخ المخطوطة من سلم الوصول

لقد وصلتنا نسختان من سلم الوصول، إحداهما مسودة المؤلف، وهي نسخة تامة لا ينقصها إلاّ المقدمة، وتُحفظ في مكتبة السليمانية باستانبول ضمن مجموعة الشهيد علي باشا برقم ١٨٨٧. أما النسخة الثانية فهي نسخة القاهرة التي لا تضم إلاّ المقدمة وجانباً من صدر

---

(٤) يشار في هذا الموضوع إلى دراستين:

a- Eleazer Birnbaum, "Kātib Chelebi (1609-1657) and Alphabetization: A Methodological Investigation of the Autographs of his *Kashf al-Zunūn* and *Sullam al-Wussūl*", *Scribes et manuscripts du Moyen-Orient* (Paris: Bibliothèque Nationale du France, 1997), pp. 235-263.

b- Houria Yekhlef, *Kātip Çelebi ve Süllemü'l-Vusūlü,* (رسالة دكتوراه لم تنشر) Ankara Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitisü 1997.

(٥) للمزيد من المعلومات انظر:

Kâtip Çelebi, Hayatı ve Eserleri Hakkında İncelemeler, Ankara: Türk Tarih Kurumu Basımevi, 1957, s. 2; Eleazer Birnbaum, *a.g.m.*, s. 248n

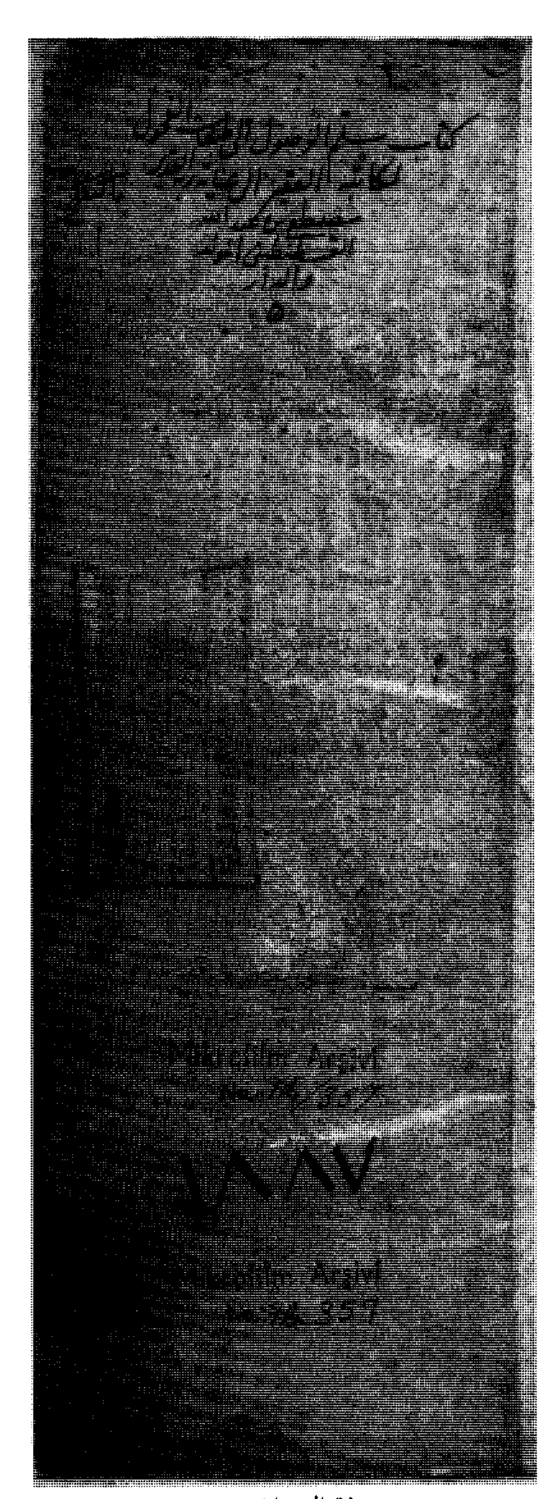
(٦) ميزان الحق، استانبول ١٢٨١، ص ١٢٥.

الكتاب والباب الأول ثم جزءًا من الباب الثاني، أي حرف الباء حتى نهاية مادة (بختنصر)، وهي محفوظة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة مصطفى فاضل باشا برقم (تاريخ ٥٢). وقد أشرنا إلى الفروق الموجودة بين هاتين النسختين، فرمزنا إلى النسخة الأولى مسودة المؤلف باسم (الأصل)، بينما استخدمنا لنسخة القاهرة الحرف (م).

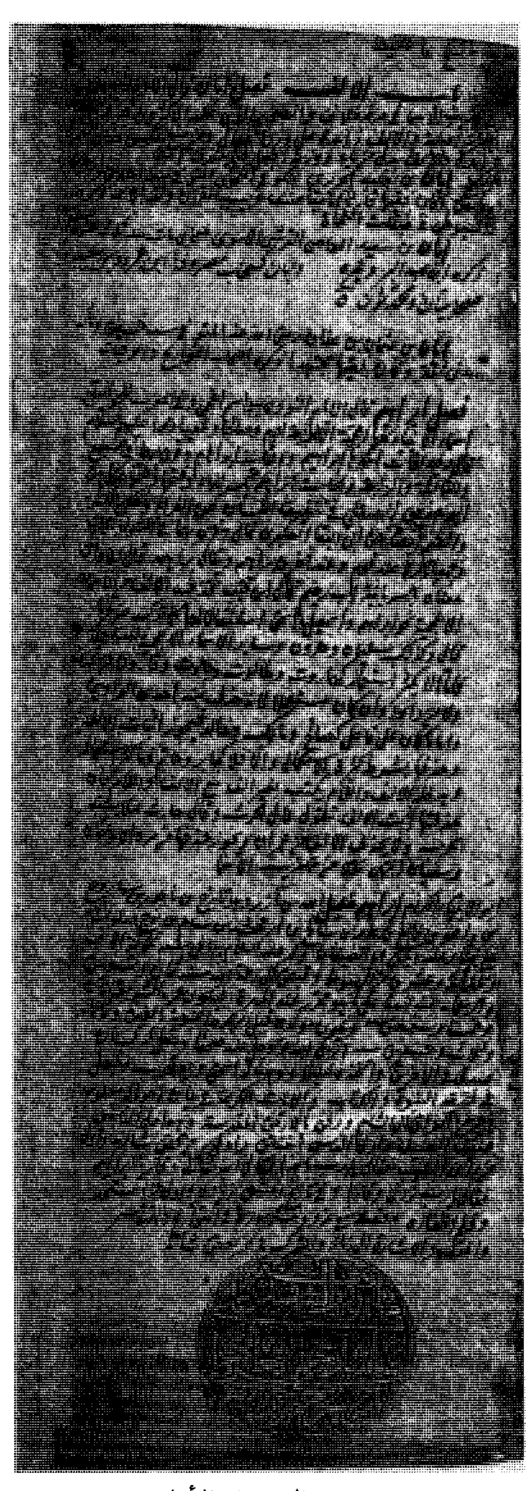
مسودة المؤلف المحفوظة في قسم شهيد علي باشا (١٨٨٧) بمكتبة سليمانية

إن النسخة الأولى التي هي مسودة المؤلف المحفوظة في مكتبة السليمانية (شهيد علي باشا) هي نسخة مخطوطة في مجلد بجلد بني غامق في وسطه حِلْيَةٌ وسلاسل زينة، وتقع في ٥٧٧ ورقة بمقاسات ١٠×٢٤سم (المقاسات الداخلية والأسطر مختلفة)، ولا تضم قسم المقدمة. وتتصدر صحيفةَ العنوان عبارةٌ بخط المؤلف تقول:

كتاب سلم الوصول إلى طبقات الفحول
لكاتبه الفقير إلى عناية ربه القدير
مصطفى بن عبدالله
القسطنطني المولد
والدار



صحيفة العنوان



(الصحيفة الأولى)

نسخة إستانبول

وجرى ترتيب النسخة على شكل كراسات (ملازم)، وحَمَلَتْ كل كراسة رقماً مسلسلاً أعلى الصفحة الأولى منها، لكن هذه الأرقام المسلسلة لا تشمل إلاّ الكراسات الاثنتين والثلاثين الأولى من الكتاب، كما يبدو أن الكراستين الأوليين مفقودتان. وتتشكل الكراسة الواحدة من خمس أو ست أوراق بمقاس ٢٠×٢٤سم وضعت داخل بعضها بعضاً، ثم جرى ثني هذه الأوراق من المنتصف، وجُعلت على شكل ملازم تضم كل واحدة منها عشر صفحات أو اثنتي عشرة صفحة. وقام المؤلف بوضع أرقام مسلسلة (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦ ...) في أعلى الصفحات الخمس أو الست الأولى من تلك الصفحات العشر أو الأثنتي عشرة، بينما لم يضع أرقاماً على الصفحات الخمس أو الست الثانية، ربما لأنها امتداد للصفحات الأولى. ويلفت النظر في هذه المسودة وجود ثلاثة أنواع من الترقيم فوق الصحيفة الواحدة. فهناك الترقيم الموجود على الجانب الأيسر من الصحيفة ونعتقد أنه تم بيد المؤلف ولا يشمل كل صفحات الكتاب، وإنما يوجد فقط على الأوراق (٨٣أ – ٩٦أ). ويوجد عدا ذلك ترقيمان متسلسلان من أول الكتاب إلى نهايته، ولكن يبدو أن الذي وضعهما على الصفحات هم موظفو المكتبة بعد دخول الكتاب إليها. والترقيم الأول هو بالأرقام العربية (1, 2, 3....) تبدأ من صحيفة العنوان وتنتهي عند رقم (578)، أما الترقيم بالأرقام الهندية (١، ٢، ٣،...) فتبدأ من الورقة الثانية التي يبدأ منها باب الألف وتنتهي عند الرقم ٥٧٨ في الورقة الأخيرة من النسخة. وقام الشخص الذي وضع الأرقام الهندية -من بين المكتبيين الذين قاموا بالترقيم العربي والهندي لأوراق الكتاب- بتجاوز رقم الورقة التالي للورقة رقم ٢٧١، فبدلاً من أن يكتب الرقم ٢٧٢ كتب الرقم ٢٧٣، وبذلك زال الفارق الموجود بين الترقيمين.

وسبب وجود فارق بقدر عشر صفحات بين الترقيم الذي وضعه كاتب چلبي والترقيم الذي وضعه موظفو المكتبة فيما بعد يبدو أنه ناشئ عن ضياع ملزمتين تضم كل واحدة منهما خمس ورقات كما سبق وأسلفنا من قبل. وتجدر الإشارة إلى أننا اعتمدنا الأرقام العربية المتسلسلة الموجودة (1, 2, 3,....) ونحن نسعى لتحقيق المخطوط وإعداده للنشر.

وهناك دليل آخر يؤكد ضياع كراستين من صدر الكتاب تحتويان مقدمته، وهو أن الورقة الفارغة الظهر التي تضم قيد عنوان الكتاب الذي ذكرناه من قبل قد جرت إضافتها من بعد في حالة ورقة منفصلة إلى الكراسة الأولى الموجودة. وفي اعتقادنا أن هذه النسخة المسودة قد دخلت بهذه الحالة الناقصة إلى مجموعة الشهيد علي باشا في مكتبة السليمانية، لأن خاتم الوقف الخاص بالشهيد علي باشا يوجد مطبوعاً في القسم الأسفل من وجه الورقة الأولى بعد صحيفة العنوان مباشرة، وهو ظاهر بصورة جلية عليها. والورقة التي يبدأ بها القسم الأول من الكتاب تقابل الرقم (١١) الذي وضعه المؤلف، مما يعني أن مقدمة الكتاب كانت تتصدره

آنذاك. ويوجد خاتم الشهيد علي باشا مطبوعاً على الورقتين (2a) و(575b) وفي داخله عبارة "مما وقف الوزير الشهيد علي باشا رحمه الله تعالى بشرط أن لا يخرج من خزانته ١١٣٠". وبما أن هذا الوزير توفي سنة ١١٢٨هـ (١٧١٦م) إذن فهذا الخاتم وضع على المخطوط بعد مرور عامين على وفاته، أي في سنة ١٧١٨م.

ويلاحظ أن صفحات الكتاب من أول حرف الألف حتى نهاية حرف التاء ممتلئة، وهذا الجزء يمتد حتى الورقة (67b)، ويبدو أن النص فيه قد أخذ شكله النهائي تقريباً، وهو يشتمل على الجلد الأول الذي تم تبييضه كما قال كاتب چلبي في العبارة التي نقلناها عنه سابقاً. كما يلاحظ في هذا الجزء من الكتاب أن الرموز الخاصة بأسماء المصادر المختلفة التي يستعين بها كاتب چلبي على الترجمة ويضعها فوق رؤس المواد ليست موجودة هنا. كما يلاحظ أيضاً أن بعض البطاقات التي لصقها كاتب چلبي بيديه بعد الورقة (25b) قد سقطت من هذا الجزء، فلا توجد الترجمات ذات الأرقام (476–483)، ويثبتُ لنا ذلك وجودُ لفظ التعقيب(*) الذي يمثل الكلمة الأولى في الترجمة رقم (476) الموجودة في نهاية الورقة المذكورة. وتلك الترجمات الساقطة من هنا (476–483) نراها موجودة في نسخة القاهرة (م). ثم يأتي بعد الورقة (٦٦أ) رؤس لمواد أو تراجم كُتِبَ مقدارُ النصف منها أو ما هو دون ذلك، كما نشهد رؤساً لتراجم ظلتْ على ذلك دون كتابة، ومن هنا يبدأ ظهور رموز المصادر. وجانب من التراجم الموجودة في هذا الجزء قد تم ملؤها، وذُكرتْ في نهاياتها أسماء المصادر التي اعتمد عليها المؤلف، ثم شُطِبت الرموز الموجودة في أعلاها. ويلاحظ أن المؤلف وَزَّعَ رؤس المواد على الصحيفة أولاً فكان إذا ضاق المكان المخصص خرج بالكتابة إلى الهوامش والحواشي، أو كتب تلك الإضافات على بطاقات وقام بلصقها في موضعها. لكن تلك البطاقات سقط بعضها من موضعه فقام بلصقها أحد خبراء موظفي المكتبة في مواضع أخرى مختلفة مع الكتابة بالقلم الرصاص عن الموضع الذي ترجع إليه كل بطاقة. ويلاحظ أسفل الأوراق (22b، 23b، 25b، 26b، 27b) وجود ألفاظ تعقيب، وهذه الألفاظ مكتوبة بنفس الشكل في أول الصفحة التي تعقبها على اليسار. أما في الأوراق الأخرى فنلاحظ وجود أرقام بدلاً من هذه الألفاظ لتقوم بنفس الوظيفة، وعلى سبيل المثال يوجد رقم (١) أسفل الورقة (32b)، ورقم (٢) أسفل الورقة (33b)، ورقم (٣) أسفل الورقة (34b)، ورقم (٤) أسفل الورقة (35b)، ورقم (٥) أسفل الورقة (36b)، ورقم (٢) أسفل الورقة (43b)، ورقم (٤) أسفل الورقة (44b)،

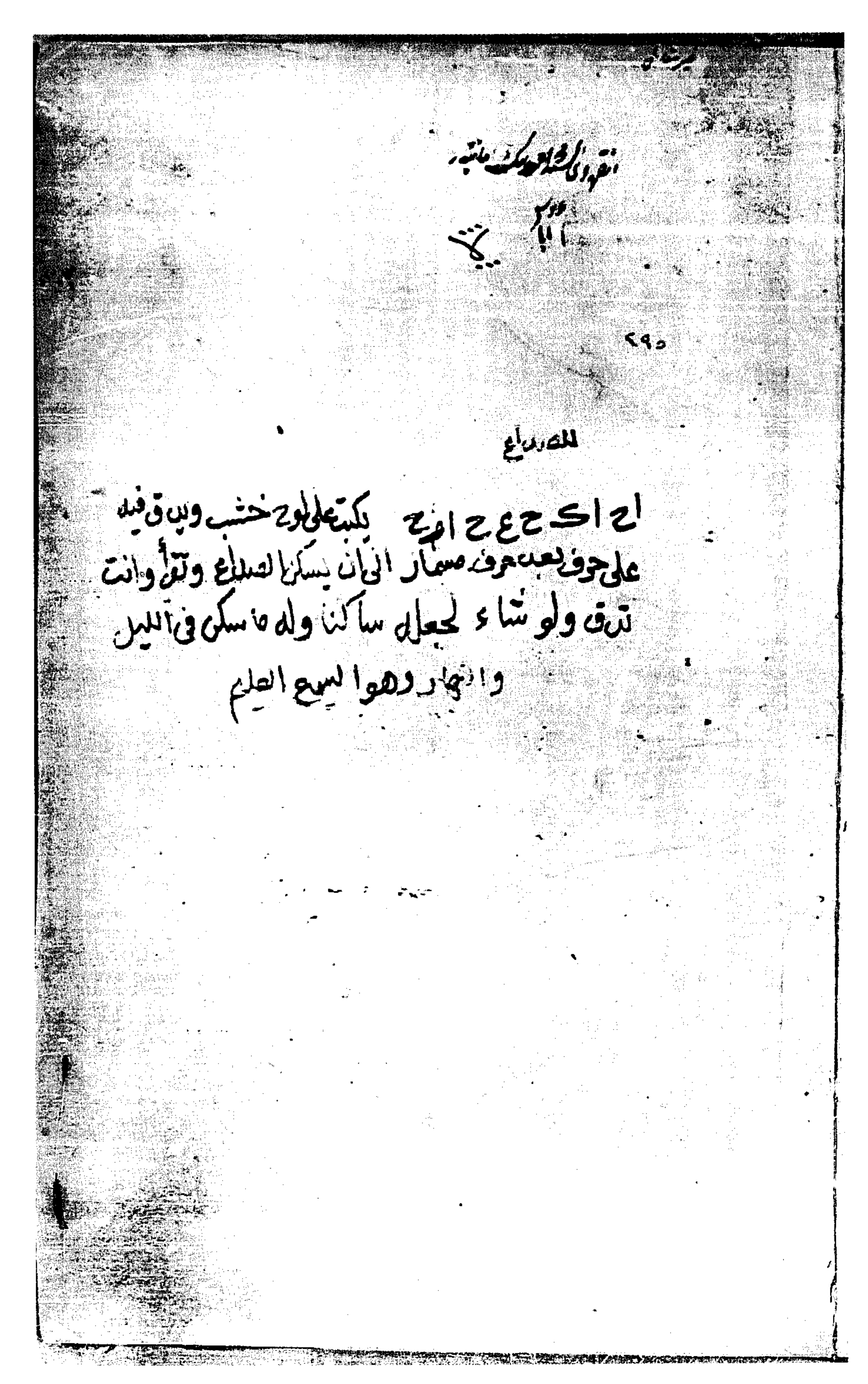
---

* لفظ التعقيب أو التعقيبة هو لفظ أو كلمة تؤخذ من أول الصحيفة اليسرى في المخطوط لتكتب في الجانب الأيسر أسفل الصحيفة اليمنى وخارج إطار الكتابة بقصد الربط بين الصفحات في المخطوطات حتى لا يختلط ترتيب الأوراق. وتلك طريقة قديمة تسبق عملية الترقيم المعروفة حالياً.

ورقم (٥) أسفل الورقة (45b)، ورقم (٦) أسفل الورقة (47b)، ورقم (١) أسفل الورقة (52b)، ورقم (٢) أسفل الورقة (53b)، ورقم (٣) أسفل الورقة (54b)، ورقم (٤) أسفل الورقة (55b)، ورقم (٥) أسفل الورقة (56b). وهذه الأرقام قد كتبت بعينها في أوائل الصفحات التالية على اليسار. أما في القسم الثاني من الكتاب (أي المتعلق بالكنى والألقاب والأنساب) فيلاحظ وجود دوائر صغيرة أو أرقام في هوامش بعض المواد، لكننا لم نستطع التعرف على المغزى من وجودها.

نسخة القاهرة

ونسخة القاهرة من الكتاب والمحفوظة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة مصطفى فاضل باشا تحت رقم (تاريخ ٥٢) مكتوبة بخط النسخ العادي، وتقع في ١١٤ ورقة ومقاسات ١٧,٥×٢٨,٥سم (١٠×٢٥سم) ومسطرتها ٢٩ سطراً. ويبدو أن استنساخها وقع في القرن التاسع عشر الميلادي. وتحتوي هذه النسخة على مقدمة الكتاب، ثم الباب الأول والثاني حتى منتصف مادة (بختنصر) الموجودة في مسودة المؤلف في الورقة (59b). أما الأوراق التالية فقد بقيت فارغة. وهي تضم 1044 ترجمة، كما يوجد في هذه النسخة أيضاً الترجمات (476–483) التي سقطت من مسودة المؤلف. وفي مقابل ذلك فان نسخة القاهرة هذه لا تضم الترجمة رقم 983 ضمن البابين اللذين تشملهما من الكتاب. وخط النسخة مقروء، لكنها تحتوي العديد من الأخطاء الإملائية. كما أنها لا تضم الإضافات والتواريخ الشعرية وبعض الأرقام الخاصة بتواريخ الوفاة والأبيات الشعرية الفارسية الموجودة على هوامش وحواشي مسودة المؤلف، لكنها تضم على هامش الورقتين (1b، 2a) من المقدمة غير الموجودة في مسودة المؤلف بعض عبارات منتهية بلفظ "منه".

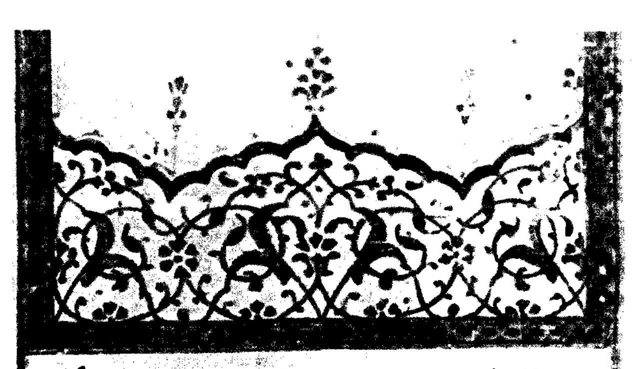


للصداع

اح اك ح ع ح ا ح يكتب على لوح خشب ويدق فيه
على كل حرف بعد حرف مسمار الى أن يسكن الصداع وتقرأ وانت
تدق ولو شاء لجعله ساكنا وله ما سكن في الليل
والنهار وهو السميع العليم

الورقة الأولى من نسخة القاهرة

(دار الكتب المصرية، مجموعة مصطفى فاضل باشا، تاريخ ٥٢)



بسم الله الرحمن الرحيم • وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
الحمد لله الذى خلق الانسان فهدى، وشرفه بالنطق والادراك ولم يتركه سدى
رفع طبقات الابرار ووضع منزلة من طغى واعتدى • والصلاة والسلام على افضل
من جاء بالحق والهدى • وعلى آله واصحابه نجوم الفلاح والاهتدا ... فلا
يخفى ان الله تعالى جعل العلم ذخرا باقيا على مر الدهور والاعصار • وذخائر
الى دار القرار • يمتد اليه اعناق الاذهان كل زمان ومكان • ولا يكسد سوقه
متيما قام واينما كان • ومن المعلوم ان التاريخ من انفع العلوم • اذ هو كما قيل
نوع من المعاد • واحياء لما اندرس من رسوم البلاد والعباد • سيما علم الوفيات
فانه من جملة الواجبات • لان الناس على طبقات مختلفة • ومراتب فيه متفاوتة
حتى انتهى التفاوت الى ان عُد الف بواحد • فمنهم من اعتلى الى ان التحق بالملا
الاعلى ومنهم من تسفل الى طبع الجسم الجامد • وعن عائشة رضي الله عنها انها
قالت امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم هذا
والجاهل بعلم الرجال راكب عميا • خابط خبط عشوا • ينسب الى من تقدم اخبار
من تاخر ويعكس ذلك ولا يتدبر • لكن الكتب فيه بين اسهاب وايجاز • واطلاق
الوفيات على كثير منها مجاز • ولما كثر عندي عَدَدها وعُددها • واجتمع لدي
اسبابها وسندها اردت ان اجمع من جملتها كتابا وسطا على وفق خير الامور
بحذف الزوائد واثبات المهم والفوائد مع الحاق فوائد يقف دونها
الفحول وينجذب اليها الاذهان والعقول • فاني جمعت فيه اساطين
الاوايل والاواخر • وبذلت جهدي في بيان مبهمات الاسما والانساب
فلم اغادر حسبما يقتضيه الحال من التفصيل والاجمال • ورتبته على حروف
اسما الاشخاص واسما ابايهم كما هو الواجب فيه • وكذا الانساب والالقاب
في القسم الذي يليه باعتبار الخط دون اللفظ والاصل فانه محسوس بديهي
بالقياس اليهما عند العقل وسميته بعد ان اتممته سلم الوصول
الى طبقات الفحول مشتملا على مقدمة وقسمين وخاتمة وما اردت

الصحيفة الأولى في سلم الوصول نسخة القاهرة

مقارنة بين النسختين

عند المقارنة بين مسودة المؤلف التي وصفناها سابقاً وبين نسخة القاهرة (م) يمكننا الوصول إلى بعض الأمور التي تدلنا على الكيفية التي أعد بها كاتب چلبي كتابه. وعلى الرغم من أن نسخة القاهرة لا تضم إلاّ جزءًا صغيراً من الكتاب، أي لا تضم حتى كل الجزء الذي وصفه كاتب چلبي بأنه يمثل المجلد الأول من الكتاب إلاّ أنها تنطوي على أهمية كبيرة نظراً لأنها تحتوي المقدمة التي لا توجد في نسخة المؤلف الموجودة بين أيدينا.

والآن نحاول من خلال عقد بعض المقارنات فيما بين النسختين إيضاح الكيفية التي أعد بها المؤلف كتابه، والكيفية التي وصلت بها النسختان الموجودتان بين أيدينا، ونسعى للتعرف على الفرضيات المختلفة في هذا الصدد.

ولاشك أن عدم احتواء نسخة المؤلف على المقدمة ووجودها في نسخة القاهرة أمر يدفعنا للتفكير في بعض الاحتمالات، أولها أن المستنسخ الذي كتب نسخة القاهرة قد يكون أعدها نقلاً عن نسخة المؤلف المحفوظة ضمن مجموعة الشهيد علي باشا قبل ضياع الملزمتين الموجودتين في أولها، وهذا يقتضي أن يكون استنساخ نسخة القاهرة قد جرى في الوقت الذي كانت فيه نسخة الشهيد علي باشا موجودة بشكلها التام وقبل انتزاع ملزمتين منها، أي أن مستنسخ نسخة القاهرة ربما يكون قد اطلع على نسخة المؤلف قبل دخولها إلى مجموعة الشهيد علي باشا ونقل منها ما نقل.

ونظراً لأن مسودة المؤلف دخلت إلى مجموعة الشهيد علي باشا في نهاية القرن السابع عشر أو بداية القرن الثامن عشر على أقصى تقدير وأن نسخة القاهرة جرى استنساخها في القرن التاسع عشر فإن هذا الاحتمال قد يبدو بعيداً عند النظر بدقة إلى الفروق الموجودة بين النسختين، إذ يظهر أن كاتب چلبي أعد نسخة أخرى مبيضة - كما ذكر هو - عدا نسخة المسودة الموجودة بين أيدينا.

ولسوف نلحظ عند تدقيق نسخة القاهرة أن ناسخها لم ينقل إليها بعض الإضافات الموجودة على هامش نسخة المؤلف، مثل عبارات التأريخ بحساب الجمل، وتواريخ الأيام التي حشرها المؤلف بالأرقام من بعد فيما بين السطور لتحديد تواريخ وفيات بعض أصحاب التراجم، وكذلك الأشعار المكتوبة باللغة الفارسية. وهنا يمكننا الافتراض أن المستنسخ الذي كتب نسخة القاهرة لم يراع هذه الأمور فيها، أو أنها لا توجد في النسخة المبيضة التي قال كاتب چلبي إنه كتبها، أي في المجلد المستقل الذي وصفه بالمجلد الأول. ولكن الواضح

والأرجح هو الفرضية القائلة بأن الإضافات التي أشرنا إليها هنا قد جرى وضعها في المسودة فيما بعد من طرف المؤلف نفسه وذلك على ضوء النتائج التي توصلنا إليها حتى الآن.

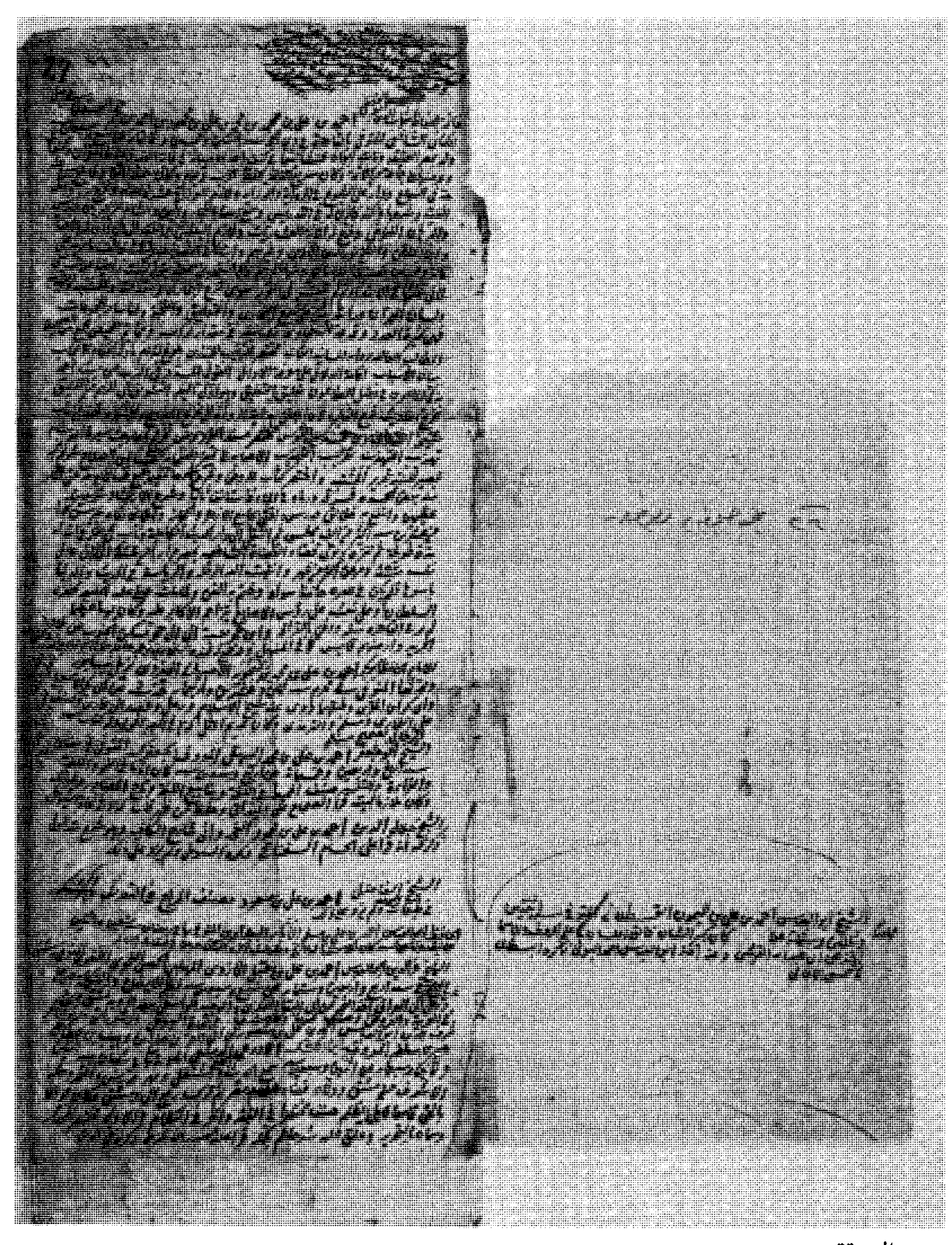
وعلى ذلك فإن النسخة المبيضة التي ذكرها كاتب چلبي وهو يتحدث عن سيرته الذاتية في كتابه "ميزان الحق" فقال: "في سنة إحدى وستين واثنتين وستين (١٠٦١-١٠٦٢هـ) (١٦٥١-١٦٥٢م) جرى تبييض الجلد الأول من كتابنا في الطبقات الموسوم بسلم الوصول إلى طبقات الفحول وذلك حتى حرف التاء" هي نسخة مفقودة لم تصلنا، والمستنسخ الذي كتب نسخة القاهرة قد اعتمد عليها ونقل لنا المقدمة الموجودة في أولها ثم تراجم حرف الألف والتاء حتى مادة (بختنصر)، أي ما مجموعه 1058 ترجمة، ثم توقف عند ذلك. وإذا أمعنا النظر في نسخة القاهرة فسوف نرى أن الصفحات التي تعقب الصحيفة (228) التي هي ظهر الورقة (114^b)، أي الورقة الأخيرة المكتوبة في النسخة قد ظلت فارغة. ويمكننا الاعتقاد أن المستنسخ كان ينوي الاستمرار في ملء تلك الصفحات الفارغة من المجلد المبيض المفقود.

وهناك دليل هام يدعم تلك الفرضية، ألا وهو مادة أفلاطون رقم (970) الموجودة في الورقة (53^b) من مسودة المؤلف، إذ تكشف أن هذه الترجمة قد تم نقلها بعينها من النسخة المبيضة المفقودة لسُلم الوصول إلى نسخة القاهرة، غير أن المعلومات التي أضافها كاتب چلبي فيما بعد وحشرها حشراً على هامش الصحيفة في مسودته لم تكن موجودة في النسخة المبيضة، لذلك لم تنقل إلى نسخة القاهرة. ويبدو أن كاتب چلبي قد ترك النسخة المبيضة التي أعدها خلال عامي ١٠٦١-١٠٦٢هـ (١٦٥١-١٦٥٢م) جانباً، وراح يواصل العمل على المسودة الأساسية، فأخذ يستكمل المواد التي لم تكتب ويملأ أسفل المواد التي تحتوي رموزاً لمصادرها، كما لم يهمل في الوقت نفسه أن يضيف إلى مواد معينة معلوماتٍ إضافية وجدها خاصة بالقسم الأول الذي تم تبيضه. وفي هذا السياق فإنه عندما وَجَدَ فيما بعد معلومات تتعلق بمادة أفلاطون وشعر بضرورة إضافتها إلى تلك المادة لم يتردد في إضافتها إلى الهامش في المسودة. وهذه المعلومات الإضافية والتراجم الإضافية وغيرها من العبارات والإضافات (كالأبيات الشعرية وغيرها) لم يستطع نقلها إلى "المجلد الأول" المستقل، ومن ثم لم نشهدها في نسخة القاهرة.

وهناك ثماني تراجم (476-483) موجودة في نسخة القاهرة، لكنها غير موجودة في مسودة المؤلف الموجودة بين أيدينا بصورتها المتماسكة من حرف الألف حتى حرف الياء، لكن هذه التراجم أضيفت إلى المسودة في حالة بطاقات من حيث الأساس، ويبدو أنها بعد أن نقلت إلى النسخة المبيضة سقطت من موضعها. (وألصقت على الورقة 26^b والورقة 27^a).



الورقة 26b:



الورقة 27a

ضاعت ثماني تراجم من 476 إلى 483، وهي التراجم التي أضيفت من طرف المؤلف في شكل بطاقات ثم وضعت فيما بين الأوراق: 26b-27a ضمن مسودة المؤلف، كما يبدو من هاتين الصحيفتين المتقابلتين، وقد تم استكمال تلك التراجم من نسخة القاهرة

وبسبب سقوط وضياع البطاقات الملصقة على الورقة (26b) التي تأتي عقب الترجمة رقم (475) الموجودة في الورقة (26a) من مسودة المؤلف والخاصة (بالإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي) فإن صحة ترتيب الترجمة رقم (476) التي هي أولى الترجمات الثماني المنقولة إلى نسخة القاهرة والخاصة (بالشيخ الإمام أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي) إنما تتأكد بلفظ التعقيب الموجود في نهاية الورقة (27a). ومن الأمور التي تلفت الأنظار عند المقارنة بين النسختين أيضاً عدم احتواء نسخة القاهرة على الترجمة الواردة تحت رقم (983) في هذا الكتاب والخاصة بأحد علماء العثمانيين (إلياس ابن الشيخ مجد الدين عيسى الآقْحِصَاري البيرامي الجفّار)، وعند الإمعان بدقة في نسخة المؤلف الموجودة بين أيدينا سوف نلحظ أن هذه الترجمة قد أضيفت فيما بعد من قبل المؤلف إلى الفراغ الموجود. والخلاصة هي اعتقادنا بوجود مجلد أول قام بتبييضه كاتب چلبي وكان الأساس لنسخة القاهرة، وما ذكرناه هو الإثبات على صحته، ونأمل أن يظهر للناس في يوم من الأيام. كما يمكننا القول إن كاتب چلبي ظل يعمل حتى وفاته على المسودة المحفوظة ضمن مجموعة الشهيد علي باشا، فكان يضيف إليها الإضافات ويملأ فيها بعض الفراغات بين الحين والآخر.

المنهج المتبع في تأليف سلم الوصول

نحن على قناعة أن كاتب چلبي قد أعد هذا الكتاب بالتوازي مع إعداده لكتاب "كشف الظنون"، وسعى في هذا الكتاب لوضع تراجم موجزة للحكام الذين عاشوا حتى عصره، وتراجم كبار العلماء (من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين)، وتراجم المتصوفة والأدباء والشعراء والمؤرخين والحكماء والأطباء وغيرهم، كما ترجم للأنبياء والصحابة والشخصيات التي اشتهرت من قدماء ما قبل الإسلام. وهو كتاب يشمل مرحلة زمنية وبقعة جغرافية شاسعتين، واعتمد فيه صاحبه على مصادر كتبت باللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية، وهو أمر لم يكن من نصيب عالم مسلم قبله.

فقد كان كاتب چلبي عالماً يجيد الألسنة الثلاثة، واستطاع الاستفادة من تلك الميزة، إذ وضع كتبه باللغتين التركية والعربية، وزوّدها بالعبارات والأبيات الفارسية. وقد استفاد عند تأليفه لكتاب "سلم الوصول" من المصادر المكتوبة باللغات الثلاث، بل ومن بعض المصادر اللاتينية. والكتاب يضم نحو 8561 ترجمة، وهو عدد لم يحدث أن رأيناه في كتاب للتراجم بهذا الحجم والإتساع في التاريخ العثماني قبل كاتب چلبي. فقد كانت العادة حتى زمن كاتب چلبي أن تحتوي مثل هذه الأعمال على تراجم لأشخاص معروفين في أدبيات لغة واحدة بوجه عام، ومثلما أوجز أدبيات اللغات الثلاث في كتاب "كشف الظنون" فقد استطاع أن

يوجز أيضاً أدبيات التراجم والطبقات باللغات الثلاث في هذا الكتاب. وأضاف لهذين الكتابين ما توصل إليه من نتائج وملاحظات لاحصر لها مما خرج به في نهاية مطالعات وقراءات لكتب قام بها على مدى السنين. وذلك نتيجة طبيعية لمعرفته الجيدة للألسنة الثلاثة التي هي من الخصائص الهامة في المثقف العثماني وتَعَرُّفِهِ بالتالي على المصادر المكتوبة بتلك اللغات.

وكنا قد ذكرنا قبل ذلك أن الكتاب يضم المقدمة ثم القسم الأول والقسم الثاني والخاتمة. وسجل فيه المؤلف تاريخين، أولهما وضعه وهو يذكر الانتهاء من كتابة القسم الثاني (ليلة القدر سنة ١٠٥٣هـ) (٩ ديسمبر ١٦٤٣م)، وثانيهما يوجد في سطور الكولوفون الذي يبشر بانتهاء الكتاب في آخر الخاتمة (أواخر ذي الحجة ١٠٥٨هـ) (١٤ يناير ١٦٤٩م). ورغم افتقارنا لدليل واضح على التاريخ الذي بدأ فيه المؤلف كتابه إلاّ أن سيرته الذاتية التي أدرجها في نهاية القسم الأول قد تدلنا على طرف الخيط. إذ سَجّل في نهاية القسم الأول منه ذلك الجانب الذي يبدأ من مولده في عام ١٠١٧هـ/١٦٠٩م حتى وفاة والده في عام ١٠٣٥هـ/١٦٢٦م[٧]، ووقوفه هنا عند تاريخ ١٠٣٥هـ (١٦٢٦م) أمر يبعث على التفكير. وأول ما يرد على الخاطر كونه بدأ في هذه السن المبكرة في كتاب "سلم الوصول". والواضح أنه عكف سنين طويلة على تأليف "سلم الوصول"، وبعد أن وضع هيكله الأساسي راح يكتب المقدمة والخاتمة. وبعد أن انتهى من كتابة القسم الثاني في سنة ١٠٥٣هـ (١٦٤٣م) والخاتمة في سنة ١٠٥٨هـ (١٦٤٩م) قام في سنتي ١٠٦١-١٠٦٢هـ (١٦٥١-١٦٥٢م) بتبييض الجزء الذي خطط له أن يكون المجلد الأول في الكتاب، ثم واصل وضع الإضافات على المسودة. والواضح للعيان أن الأجل قد وَافاه قبل أن يأخذَ الكتابُ شَكْلَهُ النهائي. وقام مستقيم زاده سليمان سعد الدين (ت ١٧٨٨م) بعد قرن من الزمان بوضع كتابه "مجلة النصاب" ليتلافى به النقص الذي رآه في "سلم الوصول"، ووصل بالأنساب والألقاب حتى زمانه[٨]. ومع ذلك فإن كتابه لا يعدل كتاب "سلم الوصول" في تفاصيله ودقته.

ويبدأ كاتب چلبي مقدمة هذا المعجم البيوغرافي الشامل بالحديث عن سبب تأليفه والغاية منه، فيقول بلسان وجيز: "لا يخفى أن الله تعالى جعل العلم فخراً باقياً على مر الدهور والأعصار، وذخراً روحانياً إلى دار القرار، تمتد إليه أعناق الأذهان في كل زمان ومكان، ولا

(٧) أورد كاتب چلبي الجانب المتبقي من حياته في كتابه "ميزان الحق". فقد سجل فيه بالتفصيل الجانب الذي يلي عام ١٠٣٥هـ دون الدخول في تفاصيل الجانب الذي ذكره في سلم الوصول.

(٨) أنظر في هذا الموضوع:

Orhan Şaik Gökyay, *Kātib Çelebi'den Seçmeler* I, s. 43-44. Ahmet Yılmaz *Müstakim-zade Süleyman Sadeddin Efendi, Hayatı, Eserleri ve Mecelletü'n-Nisab'ı*,

وقد تحدث الأخير في رسالة الدكتوراه هذه عن الصلة بين مجلة النصاب وسلم الوصول.

تكسد سوقه حيثما قام وأينما كان". ثم يذكر هنا أنه بعد أن انتهى من تأليف الكتاب جعل اسمه "سلم الوصول إلى طبقات الفحول". ثم يقول كاتب چلبي إن غايته الأخلاقية من ذلك العمل الموسوعي الذي استغرق إعْدَادُهُ سنواتٍ طويلةٍ وجهوداً كبيرة إنما هي "التبرك بذكر خيارهم والتوسل إلى الله بالاقتفاء على آثارهم". ولم يكن كاتب چلبي ليترك طيلة حياته كتاباً في التاريخ والتراجم دون أن يقرأه أو يطلع عليه ويتصفحه، ثم يقول حول جهوده التي استمرت سنوات طويلة ما يلي: ".. ولما كثر عندي عَددها وعُددها، واجتمع لدي أسبابها وسندها أردت أن أجمع من جملتها كتاباً وسطاً على وفق خير الأمور، بحذف الزوائد وإثبات المهم والفوائد مع إلحاق فوايد يقف دونها الفحول وتنجذب إليها الأذهان والعقول، فإني جمعت فيه أساطين الأوائل والأواخر، وبذلت جهدي في بيان مبهمات الأسماء والأنساب فلم أغادر، حسبما يقتضيه الحال من التفصيل والإجمال، ورتبته على حروف أسماء الأشخاص وأسماء آبائهم كما هو الواجب فيه، وكذا الأنساب في القسم الذي يليه باعتبار الخط دون اللفظ والأصل، فإنه محسوس بديهي بالقياس إليهما عند العقل".

ويتحدث كاتب چلبي في صدر مقدمته عن ضرورة علم التاريخ والتراجم، وحاجة الكثير من العلوم إليه، وأن هناك أموراً عديدة لا يمكن تفسيرها وفهمها إلاّ بعلم التاريخ. وينقل في هذا السياق عن سفيان الثوري (ت ١٦١هـ/٧٧٨م) قوله: "لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ"، ثم ما روي عن الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ/٨٢٠م) أنه "أقام على تعلم أيام الناس والأدب عشرين سنة، وقال ما أردت بذلك إلاّ الاستعانة على الفقه". ثم نراه ينقل بعد ذلك آراء النووي (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) حول الفوائد الجمة من معرفة أسماء الرجال وأحوالهم ومراتبهم.

فقد عبر كاتب چلبي في المقدمة عن آرائه وأفكاره الأساسية حول علم التاريخ والتراجم في المقدمة، وتوقف عند تعريف التاريخ من الناحية اللغوية، وأهميته بالنسبة لبقية فروع العلم. كما أشار إلى وجود العديد من المؤلفات والمصنفات في هذا المجال. ولكننا نشهد فوق هامش نسخة القاهرة التي هي النسخة الوحيدة الموجودة في أيدينا لمقدمة الكتاب عبارةً على الورقة الثانية تقول: "من أراد أن يطلع على الكتب المؤلفة في الوفيات والطبقات وغيرها فليرجع إلى تأليفنا المسمى بكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون".

ونرى كاتب چلبي بعد ذلك يجعل فهمه الأساسي في موضوع التاريخ مرتكزاً على طريقة الإمام الرافعي مؤلف كتاب "تاريخ قزوين"،[٩] وينقل عنه قوله:

---

(٩) منقول من كتاب "التدوين في ذكر أخبار قزوين" لأبي القاسم عبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني (ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م) (كشف الظنون، ص٣٨٢).

"كتب التاريخ ضربان، ضرب يقع العناية فيه بذكر الملوك والسادات والحروب والغزوات وبناء البلدان وفتوحها والحوادث العامة كالأسعار والأمطار وانتقال الدول وتبدل الملل والنحل وأحوال أكابر الناس في المواليد والتهاني والتعازي، وضرب يكون القصد فيه بيان أحوال أهل العلم والقضاة وفضلاء الرؤساء والولاة وأهل المقامات الشريفة والسير المحمودة من أوقات ولادتهم ووفاتهم، وطرف من مقالاتهم ورواياتهم، وبهذا الضرب اهتمام علماء الحديث".

ويقدم لنا كاتب چلبي أيضاً معلوماتٍ موجزةً في موضوع التقاويم المختلفة المستخدمة في أدبيات التاريخ، ويضع إلى جانب ذلك جدولاً يوضح المراحل الزمنية بين "التواريخ والوقائع". وهو جدول أخذه عن كتاب "المختصر"(١٠) للملك المؤيد أبي الفدا، ثم أضاف إليه بعض الإضافات.

ويقوم كاتب چلبي بعد ذلك ليشرح لنا بالتفصيل في مقدمته الأسس النحوية التي ترتكز عليها أسماء الأشخاص والأنساب والألقاب والكنى في اللغة العربية، فنراه يثبت لنا مقدرته الكبيرة في اللغة العربية وآدابها، فيتحدث هنا عن النظام الذي استخدمه لترتيب الأسماء في هذا المعجم البيوغرافي الكبير ذاكراً المثال التالي(١١) نقلاً عن أبي الفرج المعافى بن زكريا النهرواني، فيقول: "حكى أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني قال: حججت في سنة وكنت بمنى أيام التشريق فسمعت منادياً ينادي: يا أبا الفرج، فقلت لعله يريدني لكن لم أجبه، فنادى يا أبا الفرج المعافى، فهممت بإجابته ثم قلت في الناس قد يوجد من اسمه المعافى وكنيته أبو الفرج فلم أجبه، فنادى يا أبا الفرج المعافى ابن زكريا فلم أجبه، فنادى بضم النهرواني فقلت لم يبق شك في مناداته إياي إذ ذكر كنيتي واسمي واسم أبي وبلدي، فقلت ها أنا ذا فلما رآني قال لعلك من نهروان الشرق فقلت نعم فقال نحن نريد نهروان الغرب فعجبت من اتفاق ذلك، ولهذا نرى كثيراً من أهل العلم بالتاريخ لا يفرقون بين أمثال ذلك ويظنون الاثنين واحد وهو خبط عظيم". وبهذا المثال يوضح لنا كاتب چلبي ما هي المبادئ التي وضعها نصب عينيه وهو يكتب أسماء الأشخاص الذين ترجم لهم في كتابه، وكيف اندرجت تلك المبادئ ضمن قاعدة منتظمة.

ويؤكد كاتب چلبي في مقدمته على ضرورة احترام المعايير الموضوعية اللازمة عند كتابة التراجم، وهو يكشف عن حساسية كبيرة في هذا الموضوع، إذ يذكر أن كتب التاريخ تَغُصُّ

---

(١٠) كتاب: المختصر في أخبار البشر.

(١١) لعله نقل هذا من كتاب: "الجليس والأنيس" للمعافى بن زكريا (ت ٣٩٠هـ/١٠٠٠م) (أنظر: شذرات الذهب ٤/٤٨٣؛ الأعلام ٧/٢٦٠).

بالأخطاء بسبب التعصب والجهل، ثم يتحدث عن ضرورة أن يراعي كُتّابُ التاريخ والتراجم أربعةَ أسسٍ رئيسية في هذا، فيقول:

"ولذلك اشترطوا فيمن يكتب التراجم والتاريخ شروطاً منها الصدق، وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى، وأن لا يكون ذلك الذي نقله أخذه في المذاكرة وكتبه بعد ذلك، وأن يسمي المنقول عنه. فهذه شروط أربعة فيما ينقله ويشترك فيه أيضاً لما يترجمه من عند نفسه ولما عساه يطول في التراجم من المنقول ويقصر أن يكون عارفاً بحال صاحب الترجمة علماً وديناً وغيرهما من الصفات وهذا عزيز جداً وأن يكون حسن العبارة عارفاً بمدلولات الألفاظ وأن يكون حسن التصور حتى يتصور حال ترجمته جميع حال ذلك الشخص ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عليه ولا تنقص عنه وأن لا يطلبه الهوى فيخيل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبه والتقصير في غيره والتحرز عن الهوى عزيز جداً وذلك إذا كان عنده من العدل ما يقهر به هواه ويسلك طريق الإنصاف فهذه أربعة شروط أخرى ولك أن تجعلها خمسة بزيادة الاستحضار على العلم وحسن التصور لأنه قد لا يحصل معهما حين التصنيف فهي تسعة شروط في المؤرخ وأصعبها الاطلاع على حال الشخص في العلم فإنه يحتاج إلى المشاركة في علمه والقرب منه حتى يعلم مرتبته".

وكان المؤلف وهو يُعِدُّ القسم الأول من كتابه قد قام بإعداد المسودة الموجودة بين أيدينا من خلال الملاحظات والمعلومات التي جمعها على شكل بطاقات ودفاتر، وقام أولاً بوضع الأسماء ضمن ترتيب ألفبائي دقيق، ثم شرع في كتابة تلك الأسماء في الكراسات التي تشكل المسودة الموجودة بين أيدينا. ولأن المعلومات اللازمة حول بعض المواد لم تتيسر له، أو لأنه أرجأ كتابتها لمرحلة لاحقة فقد بقيت تلك المواد على شكل عناوين فقط. واستخدم المؤلفُ المدادَ الأسود في كتابة المسودة، لكنه استخدم إلى جانبه المداد الأحمر أيضاً بقصد لفت نظر القارئ لعناوين الأقسام والأبواب والخاتمة وغير ذلك من الأمور التي رأى أهمية إبرازها، مثل:

القسم الأول، القسم الثاني، الخاتمة في فوائد متفرقة، باب الألف، باب الباء، باب التاء.

ويُلاحظ وهو يكتب المواد الخاصة بأشخاص ترجم لهم أنه كتب اسم الشخص ثم ما اشتهر به من ألقاب وكنى بالمداد الأحمر. ومن ذلك مثلاً:

إبراهيم خليل الله،

الشيخ أبو إسحق إبراهيم بن السري... الزجاج،

العلامة شهاب الدين أحمد بن إسمعيل بن عثمان الكوراني،

الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله... بن سينا،

الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي،
أبو سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك... الأصمعي،
القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن هبة الله... المعروف بابن العديم.
وإذا كان معروفاً باسمه فقط فإنه لا يكتب بالمداد الأحمر إلاّ الاسم، مثل:
الشيخ الأديب محمد الصالحي الهلالي،

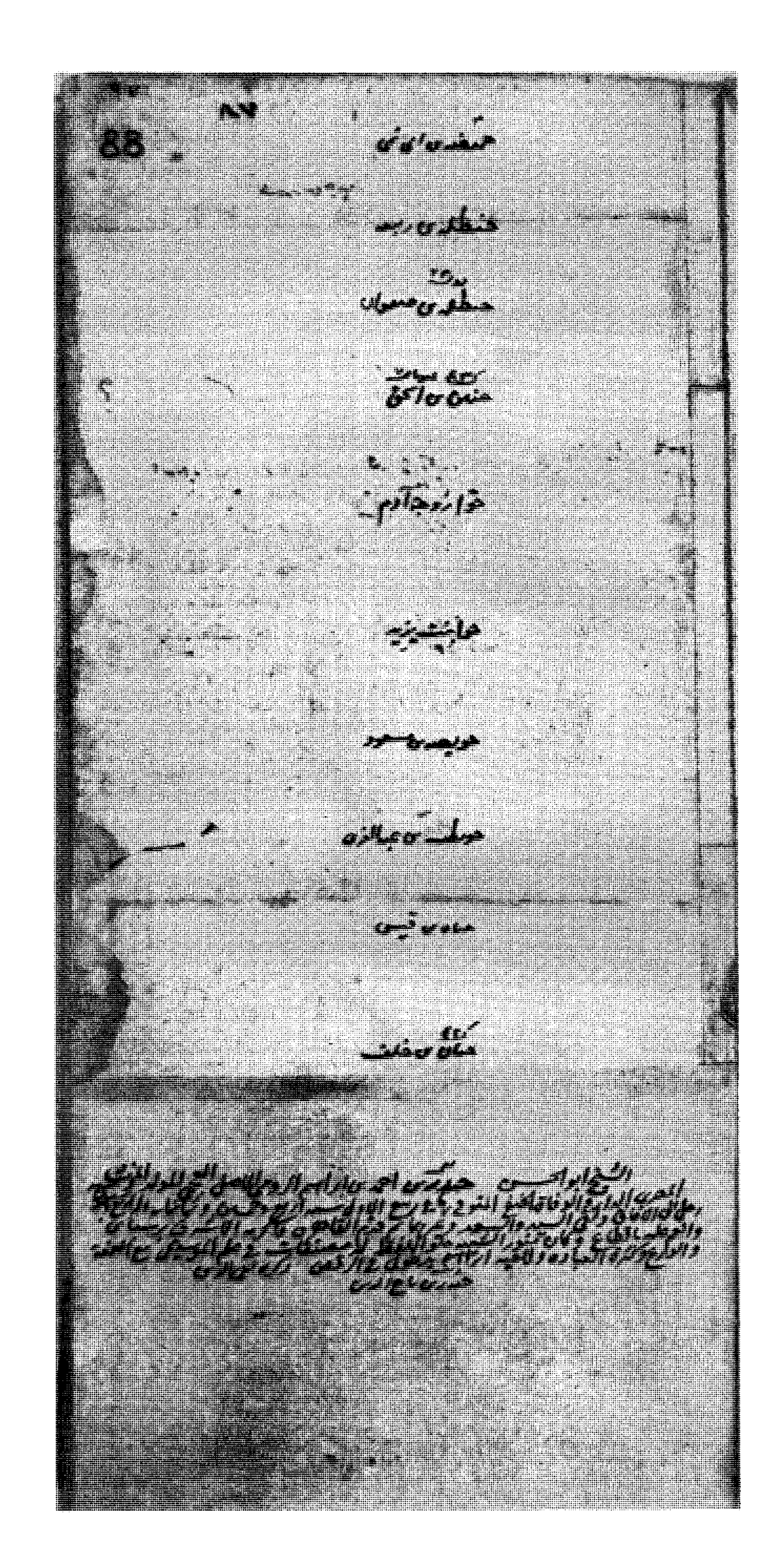
دياسقوريدس،

بقراط.

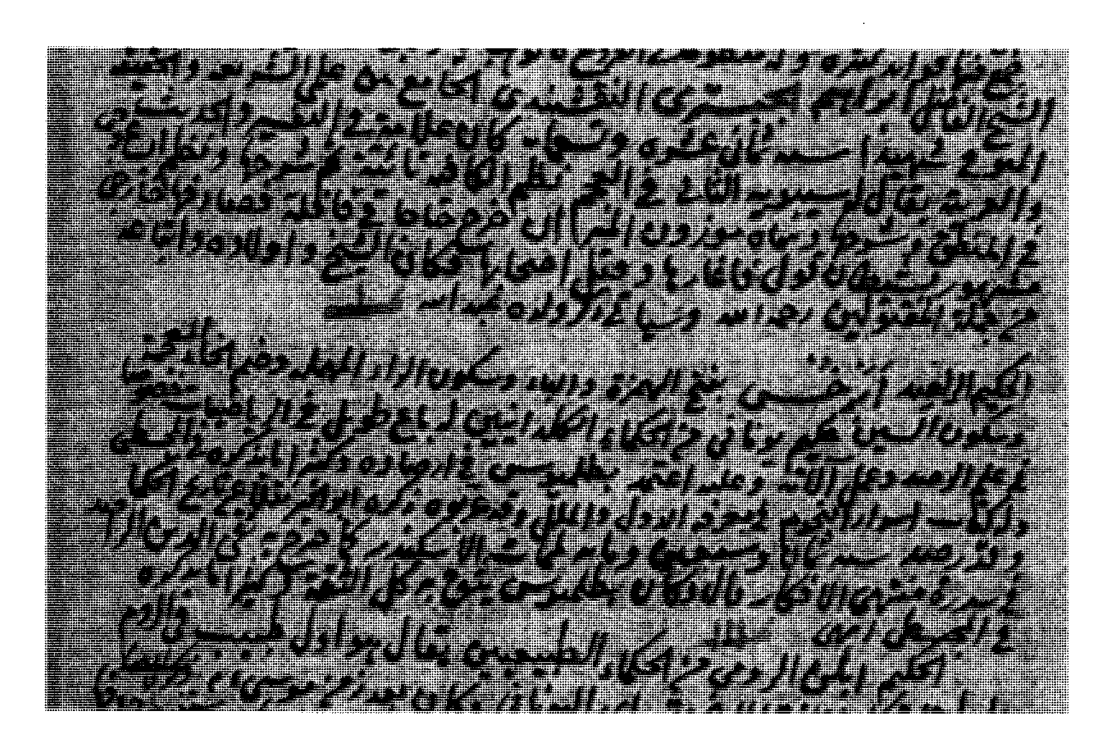
وفي القسم الثاني من الكتاب استخدم المؤلف المداد الأحمر في كتابة أسماء الأشخاص من أصحاب التراجم، والأسماء المشهورة للأشخاص الآخرين، وكذلك العائلات والمذاهب وعناوين بعض المباحث، مثل:

فصل في ما اشتهر من النسب،
آل عباس،
ابن سينا،
آل مازه.

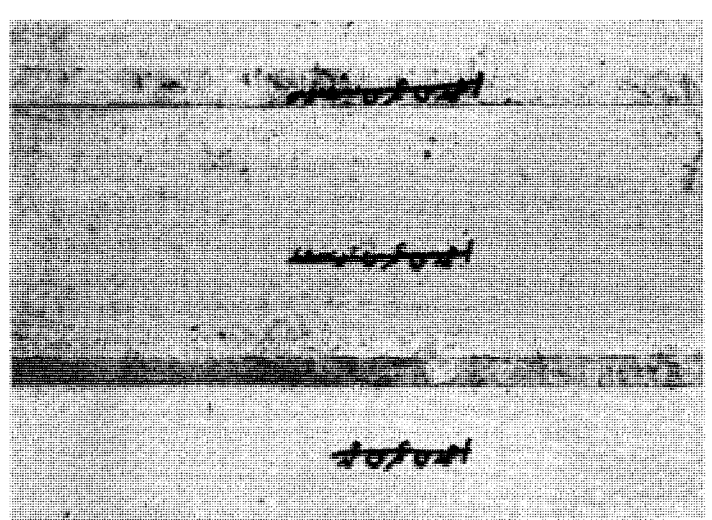
بل وقد نراه أحياناً يستخدم المداد الأحمر في كتابة رموز المصادر، أو في كتابة واو العطف وهو يتحدث عن عدد من الأشخاص البارزين ورد ذكرهم في إحدى المواد، وكذلك عند ذكره للأشخاص الذين يكنون بنفس الكنية أو ينتسبون إلى نفس المكان فإنه يبرز واو العطف بين هذه الأسماء فيكتبها باللون الأحمر. ولاحظنا في الخاتمة كذلك أن رؤس المباحث والنكات، وواو العطف المستخدمة للربط بين الأشخاص المشهورين في مجال بعينه قد كتبت بالمداد الأحمر. والقصد من كل ذلك هو جذب انتباه القارئ. وبقيت مصادر المواد مكتوبة فوق رؤس المواد على شكل رموز. وقد ترك المؤلف لكل اسم فراغاً مناسباً لكتابة ترجمته، ثم قام بعد ذلك بملء هذه الفراغات بشكل قد يتساوى أحياناً مع تلك الفراغات أو قد يفيض على الهوامش يميناً أو يساراً، كما يحدث أن تأتي كتابة بعض التراجم قصيرة بحيث يصبح ما تحت العناوين فارغاً إلى حدٍ ما، وهناك إلى جانب ذلك عناوين بقي أسفلها فارغاً تماماً:



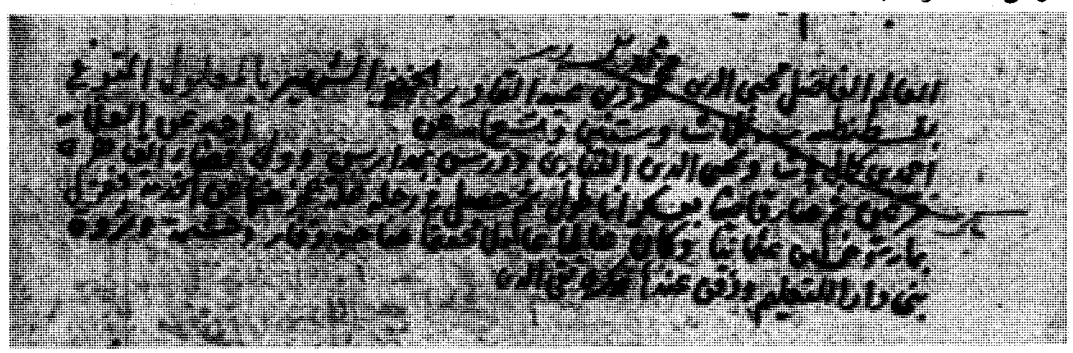
وهناك إشارات واختصارات على شكل (، ، ،) (علاوه١، علاوه٢، علاوه ٣..) قد يكتبها المؤلف فيما بين التراجم الموجودة للإشارة إلى ترجمة جديدة يود إضافتها فيكتبها تحت هذه الإشارة على هامش الصفحة نفسها، أو في صفحة أخرى.



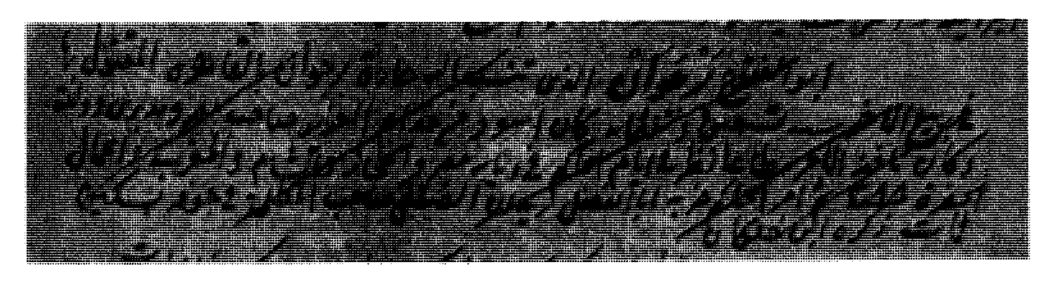
ويُلاحظ في القسم الذي يبدأ من حرف الألف حتى حرف التاء –والذي خصّ به المؤلف المجلد الأول الذي قام بتبييضه- أن المؤلف شطب بخطٍ أفقي واحد على رؤس المواد التي لم يكتب لها ترجمة، و رؤوس هذه المواد لم تنتقل إلى المجلد المبيض. وتكررت منه كتابة بعض المواد دون أن يتنبه لها، فلما أدركها بعد ذلك قام بإلغائها بسحب خط بالمداد الأسود عليها:



أو قام بكتابة كلمة (مكرر) بالمداد الأحمر تبدأ من الركن الأيمن للترجمة وتمتد حتى الركن الأيسر منها:

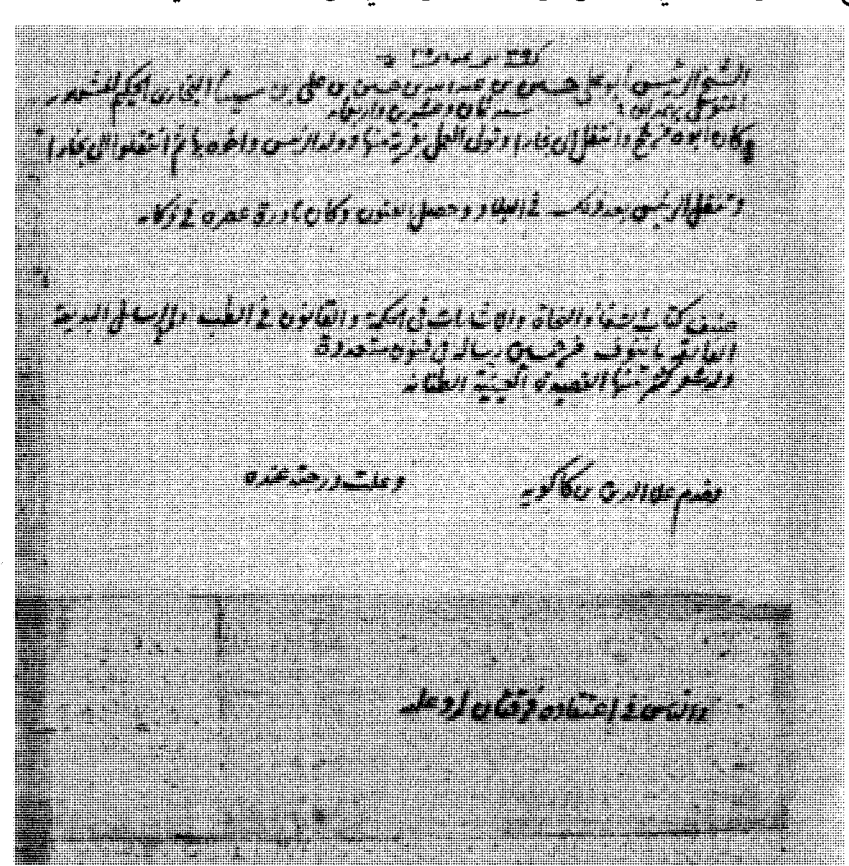


كما نشهد في مسودة المؤلف بعض ترجماتٍ شُطِبَتْ بخطوط مائلة. والترجمات التي تضمنها المجلد الأول نراها موجودة في نسخة القاهرة أيضاً. وتُشَاهَدُ أمثلة مشابهة أيضاً في مواضع أخرى من المسودة. ولا نستطيع أن نفهم لماذا قام المؤلف بشطب تلك الترجمات. ولأنها لم تتكرر في أماكن أخرى من الكتاب فقد رأينا الإبقاء عليها ضمن نص الكتاب:



وقد تم تنظيم القسم الأول من "سلم الوصول" بحيث يشكل كُلُّ حرفٍ باباً، وهو يبدأ بمادة (أبان)، وينتهي بمادة (يونس بن يونس). ثم يرد في النهاية جانب من سيرة المؤلف الذاتية. وفي كل باب تأتي الترجمات الخاصة بذلك الحرف مرتبة بحسب الترتيب الألفبائي للأسماء. وهو يضم نحو 5542 ترجمة. ويراعي المؤلف في ترتيب الأسماء أن يكون اسم الشخص نفسه واسم أبيه هما الأساس، ثم يردف ذلك بلقبه وكنيته ونسبته وتاريخ وفاته ثم يذكر حياته بإيجاز شديد وشخصيته العلمية وأسماء مؤلفاته. فإذا كان الشخص من أصحاب الانتاج الغزير اكتفى بذكر بعض إنتاجه، وكتب اسم الشخص ثم اسم الشهرة الذي عُرف به بالمداد الأحمر. ويوجد من بين التراجم ما هو لنساء أيضاً. ويكون من المفيد أن نقدم المثالين التاليين لإيضاح الطريقة التي يكتب بها المؤلف تراجمه، والأول هو ابن سينا الذي يذكره في مادة (حسين بن عبدالله) على شكل:

الشيخ الرئيس أبو علي حسين بن عبدالله بن علي بن سينا البخاري.

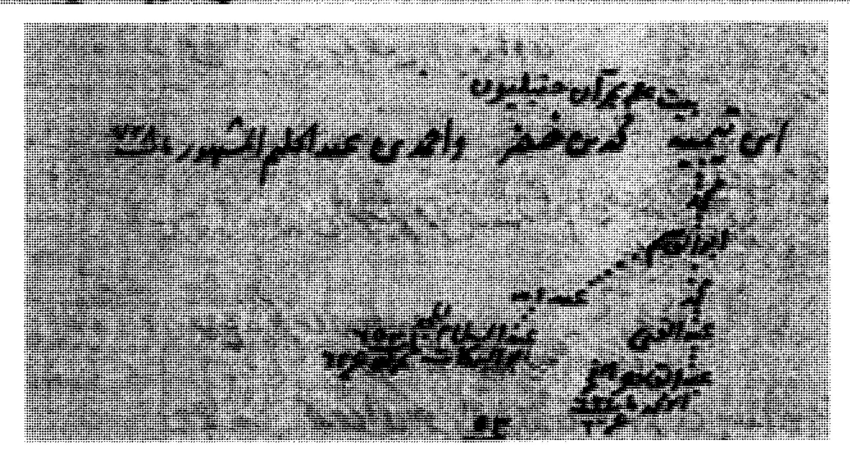


والثاني هو المقريزي الذي يذكره في مادة (أحمد بن علي) على شكل:

الشيخ العلامة تقي الدين أبو محمد أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد... المقريزي. ثم يتحدث باختصار عن حياة المترجم له وأعماله.

ويُلاحظ نقصُ جانبٍ من التراجم التي تلي الورقة (67[a])، بينما اقتصر بعض المواد على الاسم فقط. كما اكتفى المؤلف في جانب من المواد التي لم يكتب منها إلاّ الاسم فقط بأن يضع فوقها رمز (فذلكه) للإحالة إلى كتابه العربي المعروف بهذا الاسم. أما حول تراجم بعض الأشخاص البارزين مثل ابن سينا فقد قدم معلومات مقتضبة جداً. ولعله كان ينوي نقل ملخص لبعض المواد من كتاب "فذلكة" والمصادر الأخرى عند مرحلة تبييض تلك المواد.

وقد رأى كاتب چلبي بعد الانتهاء من القسم الأول في "سلم الوصول"، أي قسم التراجم أن يكتب قسماً ثانياً يتناول فيه الكنى والألقاب والأنساب، فشرع في كتابته. وهو قسم جرى ترتيبه بوجه عام بحسب الكنى والألقاب والأنساب التي اشتهر بها الأشخاص، كما وضع بين كل ذلك أيضاً مواد للمذاهب والأديان والأعراق والحِرَف. وقد استعان وهو يكتب هذا القسم إلى حد كبير بكتاب السيوطي المعروف باسم تحرير اللباب (لب اللباب). وهو يضم الأوراق (563[a]–272[b]) من مسودة المؤلف، وتأتي فيه الأنساب والألقاب والكنى وما اشتهر به أصحاب التراجم كالعبادلة وآل كذا والفرق الدينية وغيرها مرتبة ترتيباً ألفبائياً. لكن المواد قصيرة وموجزة جداً في هذا القسم، إلاّ بعض المواد الخاصة بنحو ٣٠١٩ شخصاً ممن لم يتحدث عن حياتهم في القسم الأول. ونلاحظ في هذا القسم الذي يمثل كشافاً للأسماء الواردة في قسم التراجم الأول أن الشخص الواحد قد يرد في أكثر من مادة تحت عنوان مختلف، فنرى ابن سينا وابن تيمية واردَيْن في مادة (ابن..)، ونرى المقريزي وارداً في نسبة (المقريزي)، ثم نعود فنرى الاسمين الأخيرين ابن تيمية والمقريزي واردين تحت لقب (تقي الدين):



كما سعى المؤلف وهو يذكر الأنساب إلى شرح المنسوب إليه في الغالب، فإن كان مكاناً عَرّفَهُ جغرافياً، وإن كان شخصاً أو فرقة أو غير ذلك شرح أصلها بإيجاز. ونلاحظ في هذا القسم وجود عدد من الأشخاص ليس بالقليل لم يُذكروا في القسم الأول ولكن وردت أسماؤهم في التراجم التي جرى الحديث عن نسبتها. وبقيت المخالص الشعرية [جمع مَخْلَص]* للشعراء العثمانيين كرؤس مواد دون تعريف على الإطلاق. كما نشهد في هذا القسم قلة عدد الرموز الخاصة بمصادر المؤلف، حيث تظهر في البداية بشكل كثيف ثم تعود فتقل كثيراً. ويبدو أن المؤلف كتب هذا القسم ليكون متمماً للقسم الأول، وانتهى من تأليفه في ليلة القدر سنة ١٠٥٣هـ (٩ ديسمبر ١٦٤٣م).

ويتبين من كل ذلك أن كاتب چلبي قد جرى على طريقة منظمة واستخدم أسلوباً منهجياً معيناً وهو يعد هذا العمل الموسوعي، فقد قضى حياته حسبما أسلفنا في مطالعة كتب التاريخ والطبقات والتراجم، وكان خلال هذه المطالعات يقوم بتسجيل ما يراه من ملاحظات تتعلق بتراجم الرجال في دفاتر وبطاقات خاصة، واستخدم -وهو يشير إلى المصادر- نظاماً ثابتاً لها، إذ استقر رأيه على قائمة معينة منها ووضع لكل مصدر رمزاً خاصاً. وقد أدرجنا جانباً مهماً من تلك الرموز في قائمة سوف ترد فيما بعد، وهذه الأرقام التي وردت مع الرموز تدل على رقم المجلد إذا كان الكتاب له أكثر من مجلد وكذلك على رقم الورقة. وقد وضعت رموز المصادر بالترتيب فوق رؤس المواد، بينما ورد اسم المصدر الذي اعتمد عليه المؤلف صريحاً في نهايات التراجم الطويلة. فإذا ما استخدم مصدراً من المصادر قام بشطب رمزه الموجود فوق رأس المادة. وهذه الرموز التي تدل على المصادر إنما تبدأ من نهاية حرف التاء الذي ينتهي عنده المجلد الأول الذي قام كاتب چلبي بتبييضه (بعد الورقة 66[a]). ومن ثم يتضح لنا أن المؤلف لم ير داعياً لكتابة الرموز فوق ترجمة أخذت شكلها النهائي.

وتقع خاتمة الكتاب فيما بين الأوراق (563[b]–577a)، وهي طويلة نسبياً. ويذكر فيها المؤلف معلومات متفرقة حول بغداد، والمدرسة النظامية، ورواة الحديث، ومجالس العلم، ورواة الحديث الكبار، ورواة الحديث من الصحابة، والمذاهب، ثم آراء المؤلف حول بعض

* المخلص في المصطلح الأدبي العثماني هو الاسم المستعار الذي يختاره الشاعر لنفسه لكي يضمنه في أشعاره وغزلياته فيما يعرف بأدب الديوان والأدب الشعبي.

المحدثين وأصحاب الفتوى، والمكثرين من التآليف والتصانيف، وحكايات نادرة في حياة بعض أهل العلم، والعلماء المعمرين، ومناقب بعض الأشخاص من الشباب والشيوخ، والعلماء الزهاد، ومزايا بعض الحكام والوزراء وإقبالهم على العلم، واللقاء الذي وقع بين سعدالدين التفتازاني والسيد الشريف الجرجاني في مجلس تيمور، وما قاله أحد المشايخ في القاهرة حول حاجي باشا وأحمدي والملا فناري وبدرالدين السيماوي من العلماء العثمانيين، والعلماء المغرمين بالنقد، والعلماء الذين يرفضون المناصب، والعلماء الناطقين بالأخطاء، والعلماء الذين عجزوا عن الرد، وبعض الأسماء العسيرة القراءة، والمناظرات التي جرت في حضور السلاطين العثمانيين، ومناقب بعض القضاة والشيوخ، وقيام الشيخ آق شمس الدين بالكشف عن الموضع الذي دفن فيه الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري، وبعض المعلومات حول الأوائل والأواخر.

أهمية سلم الوصول

من الواضح أن كاتب چلبي وهو يضع كتابيه "كشف الظنون" ثم "سلم الوصول" اقتفى كثيراً أثر طاشكوبري زاده، إذ كرس حياته للكتابة مثله في مجالي التراجم والببليوغرافيا. ولكن الفارق بينهما أن طاشكوبري زاده تناول في كتابه الهام "الشقائق النعمانية" تراجم العلماء العثمانيين فقط، بينما تناول كاتب چلبي في كتابه "سلم الوصول" تراجم الشخصيات البارزة على امتداد التاريخ الإسلامي وأدبياته. وعدا تحدثه عن العلماء فقد تحدث أيضاً عن الخلفاء والسلاطين، وعن الشخصيات المهمة التي عاشت في العصور القديمة لكنها عرفت في الآداب الإسلامية. فالسمة الأبرز لهذا الكتاب هي إحاطة المؤلف الواسعة بالأدبيات العربية والتركية والفارسية.

وعَمَدَ كاتب چلبي وهو يذكر تراجمه إلى الإشارة إلى مصادرها، وأوجزها بخطوطها العريضة وبالشكل الذي رآه مناسباً لحجم الكتاب، ولم يكتف وهو يصنع ذلك بتناول الأشخاص المعروفين في تاريخ الإسلام وحده، بل تناول – كما ذكرنا – عدداً من الأشخاص البارزين في العهود السابقة على الإسلام ممن عُرفوا في الأدبيات الإسلامية. وشاء بذلك أن يكون هادياً لمن سلكوا طريق العمل بهذه الأدبيات. وتميز كتابه بصفة الجمع بين تراجم الرجال والأنساب. وهو يستعرض في كتابه العديد من التراجم، وكذلك يذكر بكثرة الفرق الدينية والجماعات والأقوام وغير ذلك مما يندر ذكره في كتب التاريخ، كما يقدم لنا معلومات حول الحكام العثمانيين ورجال الدولة والعلماء والأدباء والشيوخ، ويستدرك بذلك على كتب التراجم العربية والفارسية ضمن ترتيب ألفبائي سهل التناول.

مصادر سلم الوصول

لقد استعان كاتب چلبي وهو يكتب كتابه "سلم الوصول" بالعديد من المصادر المهمة العربية والتركية والفارسية، وقد يصعب علينا هنا حصر كل هذه المصادر التي استخدمها في كتابه، وهو قد يذكرها باسمها أو باسم مؤلفيها. وما يمكننا أن نذكره منها هنا هو المصادر التي أوردها المؤلف في أواخر التراجم وبين سطورها، أو ذكرها على شكل رموز، وإن كنا نعجز عن فهم العديد من تلك الرموز وما هي المصادر التي ترمز لها، كما أن المؤلف قد يستخدم أحياناً عبارة عامة للدلالة على ذلك، كأن يقول: "ذكره أصحاب التواريخ". ومن هذه العبارة يمكننا التكهن بأن المؤلف استخدم عدداً آخر من المصادر عدا ماذكره بشكل صريح أو في صورة رموز. ولابد أنه استفاد على سبيل المثال من أعمال بعض العلماء العثمانيين مثل عالي وخوجه سعدالدين، ومن ذيول الشقائق النعمانية ومن تذاكر الشعراء، لكنه لم يذكرها صراحةً. ولعله استفاد كذلك من أعمال بعض علماء الفرس مثل حمدالله المستوفي. ولكنه يقول في آخر القسم الثاني إنه استعان على كتابته بكتاب تحرير اللباب (لب اللباب) للسيوطي واعتمد ترتيبه، ثم أضاف إليه ما وجده في المصادر الأخرى. والمعروف أن "تحرير اللباب للسيوطي" هو مختصر "اللباب في تحرير الأنساب" لابن الأثير، كما أن كتاب "اللباب" هو المختصر المزيد "لكتاب الأنساب" للسمعاني. ويُلاحظ على كاتب چلبي وهو يستعين بتحرير اللباب أنه يشير إلى الإضافات التي وضعها السيوطي على كتاب ابن الأثير، وإلى الإضافات التي وضعها هو نفسه على كتاب السيوطي، والمثال على ذلك:

الأرنبوي: قال السمعاني: أظنها من قرى نيسابور

الأزرق: ....

الألوسي:..............

الخفاجي:.......قال السمعاني:.... وقال ابن الأثير:........

الحوفي:......، وكنت أظن......قال السيوطي.....

البسطامي: قال ياقوت..... وقال السمعاني....، والأول أرجح إلى بسطام بلد بطريق.....

الشذائي:.... أقول: ضبط بعضهم بتشديد الذال....

ويزيد عدد المصادر التي قمنا نحن بحصرها عن ١٥٠ مصدراً، تضم فيما بينها كتباً في التاريخ الإسلامي العام، وتواريخ الأسر الحاكمة، والأنساب، وتواريخ المدن، وكتب الطبقات المختلفة، ومصادر رجال الحديث، وكتب التراجم العامة، والمعاجم. كما أنه استفاد بشكل واسع من كتب الجغرافيا في القسم الثاني من الكتاب، ولاسيما من "كتاب الأنساب" للسمعاني الذي أخذ عنه الكثير. لكنه سجل أسماء الغالبية العظمى من كتب الجغرافيا التي

استخدمها في شكل رموز، ولم نستطع التعرف على المصادر التي تشير إليها أغلب هذه الرموز.

ولعل أغلب المصادر التي استعان بها كاتب چلبي في النسب إلى الأماكن الجغرافية على امتداد العالم الإسلامي هي معجم البلدان، وتقويم البلدان؛ أما الأماكن الكائنة في أوربا فقد استعان لأجلها بكتاب البحرية لپيري رئيس وكتاب أطلس مينور، وأطلس ماجور، ومن الترجمة التي قام بها لهذا الكتاب وهو لوامع النور، وكذلك من كتابه المعروف باسم "جهاننما".

وها هي قائمة بالمصادر التي تأكدنا من استخدام كاتب چلبي لها في كتابة القسمين الأول والثاني من كتابه:

ابن الأبار، التكلمة لكتاب الصلة
ابن الأثير عز الدين، الكامل في التاريخ،
اللباب في تهذيب الأنساب
ابن الأثير مجد الدين، جامع الأصول في أحاديث الرسول
الإدريسي، نزهة المشتاق
الإسنوي، طبقات الشافعية
ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء
أمين أحمد رازي، هفت إقليم (بالفارسية)
الباخرزي، دمية القصر
أبو البركات ابن الشعار، عقود الجمان في شعراء الزمان
برهان الدين الحلبي، المقتفى في شرح الشفا للقاضي عياض
برهان الدين بن محمد الدمشقي، كنز الراغبين العفاة في الرمز إلى المولد المحمدي والوفاة
ابن بسام، الذخيرة في محاسن الجزيرة، الديباج
البسطامي عبد الرحمن، روضة العباد،
شمس الآفاق العفاة
بطلميوس، جغرافيا
البقاعي، إظهار العُصْر لأسرار أهل العصر،
عنوان الزمان بترجمة الشيوخ والأقران
البيضاوي، نظام التواريخ (بالفارسية)

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،
مورد اللطافة،
المنهل الصافي
تقي الدين بن عبد القادر التميمي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية
الثعالبي، يتيمة الدهر
الجامي عبد الرحمن، نفحات الأنس (بالفارسية)
ابن الجزري، غاية النهاية
الجنابي، العيلم الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر
الجَنَدي، السلوك في طبقات العلماء والملوك
ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم
ابن حبان، كتاب الثقات
ابن حبيب الحلبي، درة الأسلاك في تاريخ دولة الأتراك
ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر،
الإصابة في تمييز الصحابة،
الدرر الكامنة،
المعجم المفهرس،
تهذيب التهذيب
حسين بايقرا، مجالس العشاق
ابن الحنبلي، در الحبب في تاريخ حلب
أبو حيان الأندلسي، شرح تحصيل الفوائد وتكميل المقاصد
الخزرجي، تاريخ دولة الأكراد والأتراك
ابن خطيب الناصرية، الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب
ابن الخطيب، تاريخ مدينة السلام بغداد
الخفاجي، خبايا الزوايا
ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر
ابن خلكان، وفيات الأعيان
خواجه پارسا، فصل الخطاب في المحاضرات
خواندمير، حبيب السير في أخبار أفراد البشر (بالفارسية)
الدار قطني، ذكر أسماء التابعين
دولتشاه، تذكرة الشعراء (بالفارسية)

ابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ زبيد
أبو ذر أحمد بن إبراهيم الحلبي، قرة العين في فضل الشيخين والصهرين والسبطين
الذهبي، سير أعلام النبلاء،
العبر في خبر من غبر،
المعجم المختصر،
ميزان الاعتدال
ابن رافع، الوفيات، الذيل على تاريخ بغداد
الرافعي، تاريخ قزوين (التدوين)
ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة
رشيد الدين فضل الله الطبيب، جامع التواريخ (بالفارسية)
ابن رشيق، الأنموذج في شعراء القيروان
الزَّبيدي، مختصر طبقات النحاة
الزركشي، ذيل وفيات الأعيان المسمى عقود الجمان،
عقود الجمان = تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية
السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، والوسطى
السخاوي، البدر الطالع المنتخب من الضو اللامع،
الضوء اللامع
سراج الدين عمر بن الملقن، أخبار قضاة مصر،
إكمال تهذيب الكمال
السرخسي، كتاب المبسوط
السمعاني، كتاب الأنساب
ابن سهل، الأسماء والكنى والألقاب
ابن سينا، القانون في الطب
السيوطي، أعيان الأعيان،
بغية الوعاة،
حسن المحاضرة،
نظم العقيان،
الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير،
تحرير اللباب (لب اللباب)،
طبقات الحفاظ

ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ،
فوات الوفيات
ابن الشحنة، عقود الجواهر،
الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب
شرف الدين أبو القاسم بن عبد الحليم القرشي، الروضة العالية المنيفة في فضائل الإمام أبي حنيفة
شريف أبو مصطفى، تواريخ الخلفاء
ابن أبي شريف، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى
الشعراني، لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء الصوفية وذيله،
مختصر الفتوحات المكية
الشهرستاني، تاريخ الحكماء
الصفدي، الوافي بالوفيات،
أعيان العصر
طاشكوبري زاده، مفتاح السعادة،
الشقائق النعمانية،
نوادر الأخبار
ابن طولون، إعلان الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى،
الغرف العلية في تراجم متأخري الحنفية
عارفي، ترجمة الرشحات (بالتركية)
عاشق پاشا، تاريخ آل عثمان
عاشق چلبي، ذيل الشقائق
أبو العباس أحمد، إرشاد الحائر إلى معرفة وضع خطوط فضل الدائر
ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب
عبد العزيز بن شداد الصنهاجي، أخبار القيروان
عبد القادر بن محمد القرشي الغزي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية
ابن عبد ربه، العقد الفريد،
اللباب في معرفة العلم والآداب
أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية
ابن العبري، تاريخ مختصر الدول
ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ أعيان حلب
عرب زاده، حاشية الشقائق

ابن عربشاه، غرة السير في دول الترك والتتر،
عجائب المقدور في نوائب تيمور،
فاكهة الخلفا ومفاكهة الظرفا
ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق
عصام الدين الإسفراييني، حاشية شرح آداب البحث
علي شيرنوائي، مجالس النفائس
العُلَيْمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل
عمر النسفي، القند في علماء سمرقند
الغزالي، إحياء علوم الدين، سير الملوك
الغفاري، تاريخ جهان آرا (بالفارسية)
فخر الإسلام البزدوي، شرح الجامع الصغير
أبو الفرج الإصفهاني، الأغاني
ابن فرحون، الديباج المُذْهَب في معرفة أعيان علماء المذهب
الفردوسي، شهنامه (بالفارسية)
أبو الفضل البيهقي، جامع التواريخ
ابن قاضي شهبة، الذيل (تاريخ دمشق)،
طبقات الشافعية
القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى،
ترتيب المدارك وتقريب المسالك
ابن قتيبة، عيون الأخبار
القرماني، أخبار الدول
قطب الدين الحيضري، الإكتساب
قطب الدين المكي، الإعلام بأعلام بلد الله الحرام
ابن قطلوبغا، تاج التراجم في طبقات الحنفية
ابن القفطي، تاريخ الحكماء،
الأنباء المستطابة في فضائل الصحابة والقرابة
ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق
كاتب چلبي، فذلكة (العربي)،
كشف الظنون،
لوامع النور

ابن كثير، البداية والنهاية
الكفوي، كتائب أعلام الأخيار من فقهاء النعمان المختار
ابن كمال پاشا، تاريخ آل عثمان (بالتركية)
لسان الدين بن الخطيب الغرناطي، الإحاطة في أخبار غرناطة
ابن لطفي بك (لطفي بكزاده)، هامش الشقائق
ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والألقاب
مجد الدين الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة،
القاموس المحيط
مجدي أفندي، حدائق الشقائق (بالتركية)
محمد الكردري البزازي، مناقب الإمام الأعظم
محمد المنوفي، الروض الباسم في أخبار من مضى من العوالم
محمد بن داود البرزالي، غاية المرام في رجال البخاري
مختار بن محمود الزاهدي، قنية المنية
المرغيناني، الهداية
المِزّي، الكمال في معرفة الرجال
المسعودي، مروج الذهب
مصلح الدين محمد اللاري، مرآة الأدوار ومرقاة الأخبار
المقريزي، السلوك، المقفى،
الخطط
ابن ملك، وفيات الأعيان
المناوي، إرغام الأولياء على الشيطان
ميرخوند، روضة الصفا (بالفارسية)
نجم الدين النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند
ابن النديم، الفهرست
نوعي زاده عطائي، حدائق الحقائق في تكملة الشقائق (بالتركية)
النووي، تهذيب الأسماء واللغات
ابن الهمام، السير
اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، نشر المحاسن الغالية
ياقوت الحموي، إرشاد الأريب، معجم البلدان
أبو يعلى القاضي، طبقات الحنابلة

اليونيني، ذيل مرآة الزمان

أما المصادر التي رأينا كثرة استخدامه لها فهي:

أمين أحمد رازي، هفت إقليم (بالفارسية)

دولتشاه، تذكرة الشعراء (بالفارسية)

ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء

ابن الأثير مجد الدين، جامع الأصول في أحاديث الرسول

ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة،

الدرر الكامنة،

المعجم المفهرس،

تهذيب التهذيب

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،

مورد اللطافة،

المنهل الصافي

كاتب چلبي، فذلكه (بالعربية)

النووي، تهذيب الأسماء واللغات

الصفدي، الوافي بالوفيات، أعيان العصر

السمعاني، كتاب الأنساب

السبكي، طبقات الشافعية الكبرى،

والوسطى

السيوطي، بغية الوعاة،

حسن المحاضرة

طاشكوبري زاده، مفتاح السعادة،

الشقائق النعمانية

ياقوت الحموي، إرشاد الأريب،

معجم البلدان

الذهبي، سير أعلام النبلاء،

العبر في خبر من غبر،

المعجم المختصر،

ميزان الاعتدال

وهذه القائمة تضم كما نرى ما يزيد على ١٥٠ كتاباً وَضَعَهَا ١١٤مؤلفاً، وأربعة منها بالتركية، وتسعة بالفارسية، أما الباقي فهو باللغة العربية. واستخدم كاتب چلبي من المؤلفات الفارسية كما نرى أعمال الفردوسي ودولتشاه والقاضي البيضاوي ورشيد الدين فضل الله والجامي والغفاري وأمين أحمد رازي، كما استخدم أعمال علماء عثمانيين بالتركية أو العربية، مثل تواريخ ابن كمال باشا والشقائق النعمانية لطاشكوبري زاده وترجمتها وذيولها وكتب التذاكر للجنابي وعاشق چلبي ونوعي زاده والكفوي وغيره، كما استخدم كتبه التي وضعها قبل ذلك مثل "فذلكة" و"كشف الظنون".

واستعان كاتب چلبي بكتب التاريخ والتراجم العامة، وأخذ منها تراجم لأشخاص من كل منحى. وعدا ذلك فقد كان أكثر ما استفاد منه وهو يكتب حياة النبي والصحابة والتابعين كتب ابن عبدالبر وكتب ابن الأثير مجدالدين وابن الأثير عزالدين، وكذلك كتب المزي والذهبي التي تتناول حياة الصحابة ورجال الحديث. واستفاد وهو يتحدث عن حياة الأنبياء وحكام الدول الغابرة من التواريخ العامة وتواريخ إيران واليونان وقصص الأنبياء والشهنامات. وهو يعتمد عند كتابة حياة الخلفاء والسلاطين والقواد على التواريخ العامة والخاصة، فنراه يلجأ إلى كتب التراجم العامة التي كتبها مؤلفون من أمثال ابن خلكان والصفدي.

وعند الكتابة عن حياة الأئمة المنسوبين للمذاهب الدينية المختلفة وعن حياة القضاة يستعين بكتب الطبقات، ولاسيما بكتب الذهبي وابن كثير. ومن أكثر الكتب التي استفاد منها كتاب القاضي أبي يعلى المعروف بطبقات الحنابلة، والذيل الذي كتبه عليه ابن رجب، وكذلك كتب طبقات الشافعية التي كتبها كل من السبكي والإسنوي وابن قاضي شهبة، وكتاب الديباج المذهب لابن فرحون، وكتب طبقات الحنفية التي وضعها كل من تقي الدين بن عبدالقادر التميمي وابن قطلوبغا والكفوي وعبدالقادر القرشي.

أما عن حياة المتصوفة ومشايخهم فإن أكثر ما استخدمه لذلك كتاب أبي عبدالرحمن السلمي المعروف بطبقات الصوفية، وكتاب عبدالرحمن الجامي المعروف بنفحات الأنس، وكتاب الشعراني المعروف بلواقح الأنوار. وللكتابة عن الفلاسفة والرياضيين والأطباء والطبيعيين والكيماويين فإن أكثر ما يعتمد عليه في ذلك كتاب الفهرست لابن النديم وتاريخ الحكماء للشهرستاني، وكتاب القفطي المعروف أيضاً بتاريخ الحكماء، وكتاب ابن أبي أصيبعة المعروف بعيون الأنباء.

وأكثر ما يستعمل لحياة اللغويين والأدباء والشعراء كتاب ياقوت الحموي المعروف بإرشاد الأريب، وكتاب ابن خلكان المعروف بوفيات الأعيان، وكتاب ابن رشيق المعروف بالأنموذج، وكتاب الزبيدي المعروف بطبقات النحاة، وكتاب دولتشاه المعروف بتذكرة

الشعراء (بالفارسية)، وكتاب ابن بسام المعروف بالذخيرة، وكتاب السيوطي المعروف ببغية الوعاة، وكتاب الفيروزآبادي المعروف بالبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة.

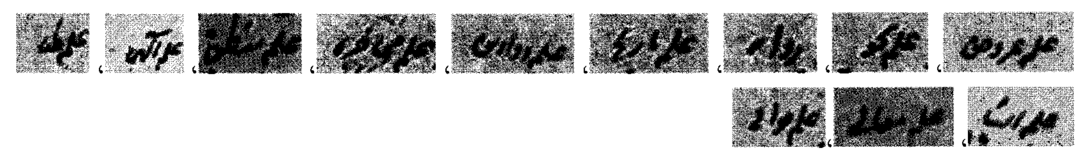
وجرى عند الحديث عن حياة العثمانيين من العلماء والحكام والأدباء والشعراء على استخدام كتاب ابن كمال باشا المعروف بتاريخ آل عثمان، وكتاب الجنابي المعروف بالعيلم الزاخر، وكتب طاشكوبري زاده المعروفة "بالشقائق النعمانية" و"مفتاح السعادة" و"نوادر الأخبار"، وكتاب الكفوي المعروف "بكتائب أعلام الأخيار"، وكتاب نوعي زاده عطائي المعروف "بحدائق الحقائق".

وللكتابة عن حياة علماء وحكام وأدباء إيران والهند وآسيا الوسطى نراه يستخدم كتاب الأنساب للسمعاني، وكتاب تذكرة الشعراء لدولتشاه، وكتاب القند للنسفي، وكتاب نظام التواريخ للقاضي البيضاوي، وكتاب جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله، وكتاب تاريخ جهان آرا للغفاري، وكتاب هفت إقليم لأمين أحمد رازي.

وقد ذكرنا قبل ذلك أن كاتب چلبي استعان كثيراً على كتابة القسم الثاني بعدد - عدا ذلك - من الكتب التي يأتي في مقدمتها تحرير اللباب (لب اللباب) للسيوطي، وأطلس مينور، وأطلس ماجور، وجغرافية بطلميوس، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، وأنساب السمعاني. كما استخدم في هذا القسم أيضاً عدداً من كتبه هو رغم عدم تصريحه بذلك، مثل كتاب جهاننما ولوامع النور ترجمة أطلس مينور.

رموز المصادر المستخدمة في الكتابة

لقد سعى كاتب چلبي وهو يكتب المواد إلى ذكر المصادر الخاصة بها، وذلك فوق هذه المواد نفسها على شكل رموز معينة. وهي تأتي بلفظ مختصر قد يرمز أحياناً إلى اسم الكتاب وأحياناً إلى اسم المؤلف. فهو يشير مثلاً إلى كتاب "تذكرة الشعراء" لدولتشاه بلفظ (لتشاه)، وإلى كتاب "عيون الأنباء" ومجلداته الثلاثة لابن أبي أصيبعة بألفاظ (عيو، عيو ثاني، عيو ثالث). أما إذا كان المصدر هو كتاب "مفتاح السعادة" لطاشكوبري زاده فإن كاتب چلبي يكتب اسم العِلْم الذي يضمه كتاب المفتاح ويرد فيه اسم الشخص المترجم له، فيقال (علم نحو) أو (علم عروض) أو (علم انشا) وهكذا:



وعند النظر في الرمز الذي يستخدمه المؤلف لمصدر من المصادر نراه قد يختار كلمة من كلماته أو مقطعاً من كلمة أو حتى حرفاً من كلمة من أولها أو من آخرها، مثل:

حسن المحاضرة،

الدرر الكامنه،

إرشاد الأريب،

مورد اللطافة،

الشقائق النعمانية،

، القاموس المحيط،

لسان العرب

وقد يستخدم كاتب چلبي للكتاب الذي يراه مشهوراً لأحد المؤلفين رمزاً قد يشمل اسم المؤلف بكلمة كاملة، مثل (سُبكي) أو مقطعاً من الاسم مثل (سيو) لاسم السيوطي

سيوطي،

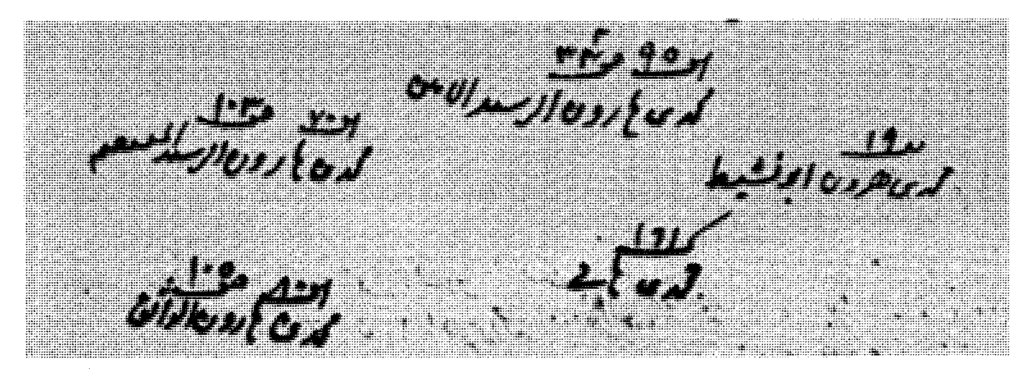
(ابن قاضي شهبة)،

(السبكي).

ويلاحظ وهو يستخدم مصادر متعددة لمؤلف واحد أنه يختار لأحد تلك المصادر فقط اسم المؤلف، بينما يختار للمصادر الأخرى رموزاً من اسم الكتاب نفسه. والمثال على ذلك نراه في استخدامه لكتب السيوطي الخمسة، فإن "بغية الوعاة" هو الذي يستخدمه بكثرة فجعل الرمز له (سيو)، بينما جعل لمصادر السيوطي الأخرى رموزاً من أسماء تلك المصادر كما ذكرناها قبل ذلك.

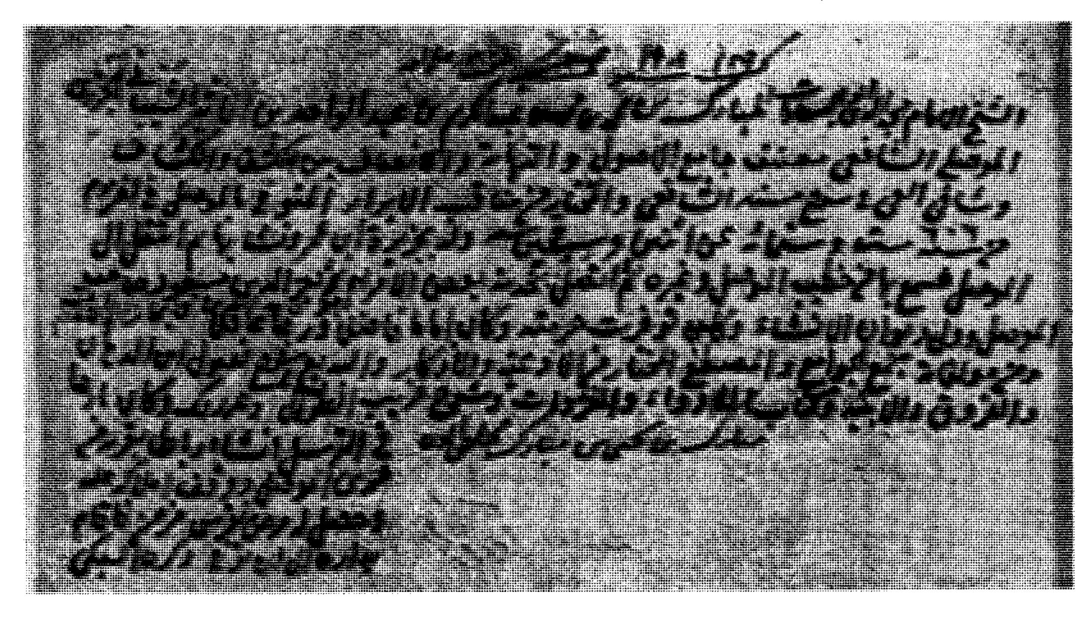
وهذه الرموز التي يستخدمها كاتب چلبي تشبه نظام الإشارة إلى المصادر في الهوامش (footnote) الذي نستخدمه اليوم في كتاباتنا العلمية المنهجية، فالمعروف في نظام الهوامش أنه بعد ذكر المصدر كاملاً في المرة الأولى يجري ذكره باختصار في المرات التالية مع ذكر رقم الصحيفة. وما يفعله كاتب چلبي هنا باستخدامه للرموز والأرقام التي يكتبها فوقها أمر لا يختلف عن ذلك كثيراً. وإذا انتهت كتابة ترجمة من التراجم وجرى تبييضها فإنه يقوم بشطب

تلك الرموز، تماماً مثلما فعل في الجزء الذي وصفه بالمجلد الأول. أما التراجم التي تنتظر الاستكمال فقد بقيت الرموز مكتوبة فوقها، مثل:



ويبدأ ظهور الرموز في الورقة (65^b)، وهناك جانب مهم من التراجم التي تتصدرها رموز ولم يستكملها المؤلف. وفي مثل هذه الأمثلة لا نرى غير اسم الشخص المراد الترجمة له فقط، وقد كتبت الرموز الخاصة بترجمته مع أرقام مجلداتها وصفحاتها.

ونرى كاتب چلبي بعد أن يقوم بكتابة أسماء الأشخاص الذين ينوي الترجمة لهم بالترتيب الألفبائي في الملازم أو الكراسات التي يتكون منهما كتابه الكبير، ثم يضع عليها الرموز التي تدل على مصادر الترجمة يقوم بتلخيص الترجمة الخاصة بتلك الأسماء من المصادر التي تشير إليها الرموز أو من الكتاب الذي نقل عنه ترجمة ذلك الشخص، فيقتبسها ويكتبها في موضعها. وفي خلال ذلك ينظر في ماهو المصدر الذي استخدمه من بين المصادر الموجودة في صدر المادة فيذكره في نهاية الترجمة التي كتبها، فيقول مثلاً: (ذكره السبكي) أو (ذكره صاحب العيون)، ثم يعود فيشطب الرمز الذي يشير إلى المصدر فوق المادة، بينما يترك الرموز الأخرى كما هي، مثل:



فالرموز بوجه عام قد جرت كتابتها فوق التراجم مع أرقام صفحاتها، أما الرموز التي كتبت دون أرقام للصفحات فهي ترجع بوجه عام إلى كتاب "جامع الأصول" لابن الأثير الذي يشار إليه بالرمز (جا). وعندما نمعن النظر في رمز هذا الكتاب أيضاً سوف نرى أنه استخدم مع مصدر آخر يرمز له بالرمز (ته) والذي يشير إلى كتاب "تهذيب الأسماء واللغات" للنووي. وكلاهما يتحدثان عن عهد الصحابة والتابعين. ويتبين لنا من خلال النظر في التراجم التي استخدم فيها الرمزان أنها كلها تقريباً ترجع للصحابة والتابعين. وقد نخرج من ذلك بانطباع أن الأسماء جاءت من "جامع الأصول" وأن التراجم كتبت من "تهذيب الأسماء واللغات".

كما يُلاحظ على الرموز الواردة في الأوراق (165^{a}، 165^{b}، 172^{a}، 212^{b}) أنها وضعت بشكل مختلف عن سابقاتها، إذ كتبت في أقصى حاشية الصحيفة، وهي رغم ورودها بنفس الشكل مثل الرموز السابقة عليها إلاّ أنها تلفت الأنظار من حيث المكان الذي وضعت فيه.

وفي القسم الثاني من الكتاب حسب تقسيم كاتب چلبي لسلم الوصول والذي يضم كشافاً مشتركاً للكنى والأنساب والألقاب نلاحظ استخدام جانب من الرموز التي جرى استخدامها في القسم الأول. وهذه الرموز ترجع في الغالب إلى المصادر التالية:

(جامع الأصول)

(عيون الأنباء)

(طبقات الحفاظ)

(طبقات الشافعية الكبرى)

(العيلم الزاخر)

(الجعبري)

(مسالك الأبصار)

سير أعلام النبلاء

فذلكة

كما يلفت الأنظار في القسم الثاني وجود أسماء لأماكن موجودة في قارة أوروبا إلى جانب الأسماء الخاصة بجغرافيا العالم الإسلامي. فقد رأينا بين الأسماء الجغرافية أسماء لأماكن تعد الأبعد بالنسبة للعالم الإسلامي آنذاك، مثل سوماترة أو أسماء أماكن قريبة من

العالم الإسلامي ولكن لم تخرج منها شخصيات تسجل في كتب الطبقات، مثل: قورسقه وسردنيه وسوماتره، ولكن المؤلف لم يذكر علماً منسوباً لتلك الأماكن.

وقد وضعت تلك الأسماء في ترتيب ألفبائي، وعَرّف المؤلف ببعضها في صورة مقتضبة. ولابد لنا من الاعتراف هنا بأننا لم نستطع العثور على طرف خيط يدلنا على السبب الذي من أجله أدرج المؤلف هذه الأسماء في الكتاب، فهي تقع خارج أراضي الدولة العثمانية في أوروبا، وهي في المحصلة خارج جغرافيا العالم الإسلامي ولا تدخل ضمن أدبياته.

١- رموز القسم الأول من الكتاب

اياس= ابن إياس، بدائع الزهور

تقي= تقي الدين بن عبدالقادر التميمي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية

تحفة=

تنمه =

جا= مجد الدين بن الأثير، جامع الأصول

جعبر= الجعبري، عقود الجمان في تجويد القرآن

حسن= السيوطي، حسن المحاضرة

الحنبلي=

=

درالحبب= ابن الحنبلي، در الحبب في تاريخ حلب

درر= ابن حجر، الدرر الكامنة

رشحة= حسين واعظ الكاشفي، رشحات عين الحياة

ريب= ياقوت الحموي، إرشاد الأريب

ش= طاشكوبري زاده، الشقائق النعمانية

سيو= السيوطي، بغية الوعاة

سا=

شهبه= ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية

ص= الصفدي، الوافي بالوفيات

ضؤ= السخاوي، الضوع اللامع

ط= السيوطي، طبقات الحفاظ

عاب= ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب

عبر= الذهبي، العبر في خبر من غبر

عيلم= الجنابي، العيلم الزاخر

فذلكه= كاتب چلبي، فذلكة العربي

ق= الفيروزآبادي، القاموس المحيط

ك= كاتب چلبي، فذلكة، طاشكوبري زاده، مفتاح السعادة

لتشاه= دولتشاه، تذكرة الشعراء

ل= لسان العرب

لطائف= ابن رجب، لطائف المعارف فيما لمواسم السنا من الوظائف

م= ابن تغري بردي، مورد اللطافة

نشر= اليافعي، نشر المحاسن الغالية

نبلا= الذهبي، سير أعلام النبلاء

نووي= النووي، طبقات الشافعية

ته= النووي، تهذيب الأسماء واللغات

هفت= أمين أحمد رازي، هفت إقليم

ورى= ابن طولون الشافعي، إعلام الورى

يافعي= اليافعي، مرآة الجنان

يف=

٢- رموز مصادر القسم الثاني

إ =

الحرم=

الح =

الحو =

بط =

بدل =

به =

جا = ابن الأثير، جامع الأصول

جعبر = الجعبري، عقود الجمان في تجويد القرآن

ح=

ر=

س= السمعاني، كتاب الأنساب

سال=

سب=

سجزي=

سح=

سط=

سه=

سو=

سد=

سيو= السيوطي، بغية الوعاة

ش= طاشكوبري زاده، الشقائق النعمانية

صح=

عا=

ع=

عح=

عدكي=

عدم=

عو=

عول=

عيلم= الجنابي، العيلم الزاخر

عيو= ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء

فح=

فابي=

فلح=

فه=

فيه=

ق= الفيروزآبادي، القاموس المحيط

قز=

قط=

قعه=

قلا=

قند=النسفي، القند

قو=

كا=

ل=

لا=

لب=ابن الأثير، اللباب في تحرير الأنساب

لتشاه=دولتشاه، تذكرة الشعراء

لح=

لحح=

لد=

لحط=

لدم=

لول=

لط=

له=

لو=

لوم=

لونب=

م=ابن تغري بردي، مورد اللطافة

ماي=

مدل=

موى=

ن=

نام=

نب=

نح=

نط=

نو=

هـ=

هـ ل=

هفت= أمين أحمد رازي، هفت إقليم

و=

يا=

يب=

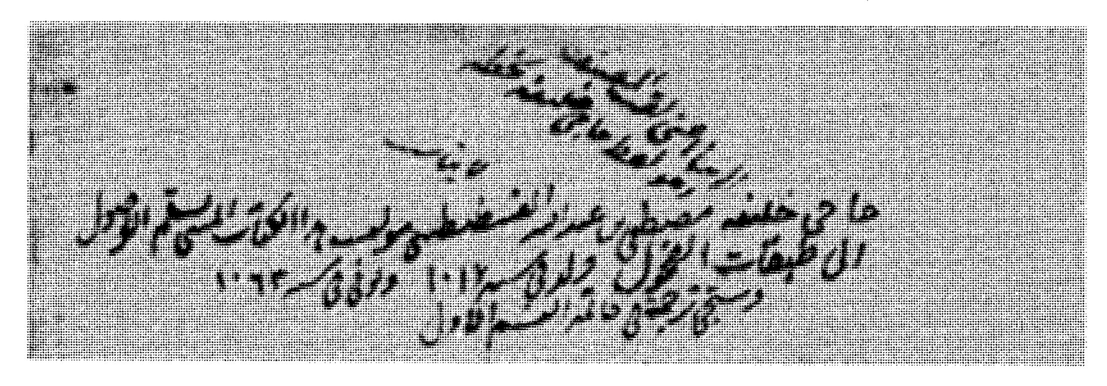
يحر=

المنهج المتبع في التحقيق

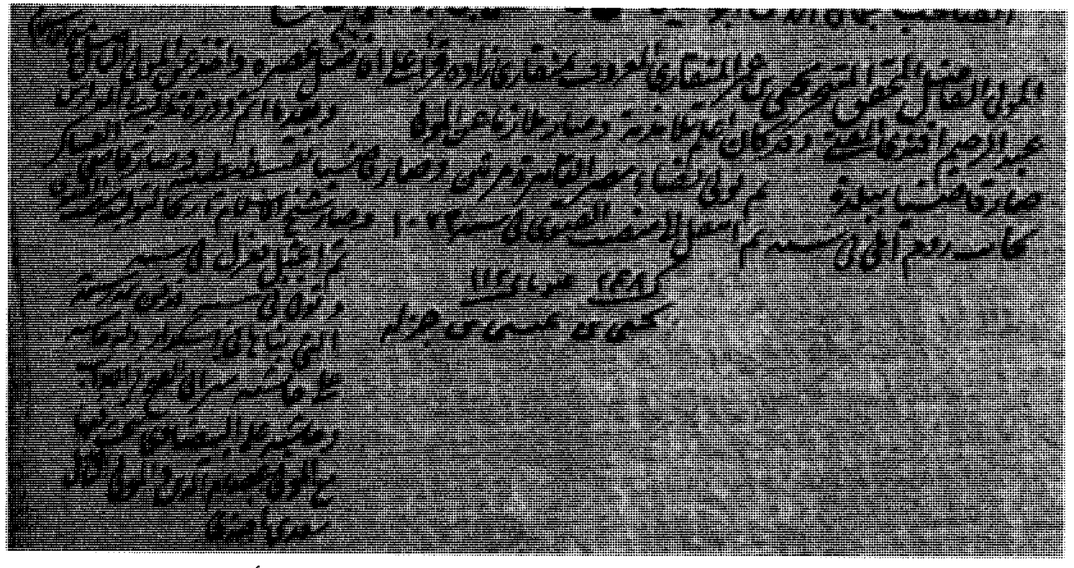
لقد اعتمدنا لهذا التحقيق مسودة المؤلف الموجودة ضمن مجموعة الشهيد علي باشا (رقم 1887)، وهي النسخة التي رأينا فيها النسخة الأكمل لكتاب "سلم الوصول"، وقمنا بالمقارنة بينها وبين نسخة القاهرة الموجودة ضمن مجموعة مصطفى فاضل باشا في دار الكتب المصرية تحت رقم (تاريخ ٥٢)، وهي التي تضم جانباً من الكتاب من أول حرف الألف حتى مادة (بختنصر) في حرف الباء. وأخذنا منها المقدمة التي هي ناقصة في نسخة المسودة وأخذنا كذلك التراجم التي تحمل الأرقام (476–483)، لكننا لم نأخذ منها الملاحظات والعبارات الموجودة على حاشيتي الورقتين (1^b-2^a) لاعتقادنا بأنها ليست جزءًا من نص الكتاب. أما الملحوظة الموجودة على حاشية الورقة (2^b) فقد ألحقناها بالنص لاعتقادنا بأنها جزء منه. وقد أشرنا إلى الفروق الموجودة بين النسختين في الهوامش، وحرصنا ونحن نفعل ذلك على الإشارة إلى مسودة المؤلف بكلمة (الأصل) وإلى نسخة القاهرة الموجودة ضمن مجموعة مصطفى فاضل باشا بحرف (م). وأشرنا إلى أرقام أوراق نسخة المسودة بالأرقام العربية [1, 2, 3, 4, 5, 6] في الهامش الأيمن للصحيفة، بينما أشرنا لأرقام الأوراق في نسخة القاهرة بالأرقام الهندية [١، ٢، ٣...] بين قوسين داخل النص. ونسخة القاهرة كما أوضحنا من قبل تنتهي عند الورقة (60^b) من نسخة المسودة، ومن هنا كان اعتمادنا على نسخة المؤلف وحدها بعد مادة (بختنصر) في الكتاب. فقمنا بإعداد نص الكتاب تبعاً لها، واجتهدنا في جعله نصاً تاماً وصحيحاً.

وقمنا بالتحقق من المعلومات الواردة في النص من خلال المصادر المختلفة التي ذكرها المؤلف والمصادر التي لم يذكرها، وسعينا لتصحيح الأسماء الخاطئة وكذلك بعض الأخطاء التي وردت في أسلوب المؤلف وطريقة تعبيره، مع الإشارة لذلك قدر الإمكان في هوامش التحقيق. ولم ندرج في التحقيق تلك التراجم التي قام المؤلف بالشطب عليها في مسودته، اللهم إلاّ بعض التراجم التي اعتقدنا أن المؤلف شطب عليها سهواً أو بطريق الخطأ. أما التراجم التي كتب المؤلف فوقها أنها مكررة فقد اخترنا إحدى الترجمتين وأضفنا إليها ما يلزم من المعلومات الموجودة في الترجمة الأخرى، مع الإشارة إلى ذلك في هوامش التحقيق. وقد لاحظنا أن المؤلف لم يكتب تراجم المشاهير من رجالات الدولة وكذلك تراجم الشعراء العثمانيين بوجه خاص، فلم يكتب إلاّ الأسماء أو المخلص الشعري فقط، ووضع رمز (ك) فوق أسماء العلماء من رجالات الدولة بينما ترك مخالص الشعراء دون كتابة أي رمز. وأخذنا مثل هذه المواد ضمن التحقيق، ثم حاولنا استكمال الجانب الأكبر من المعلومات الخاصة بالسلاطين ورجالات الدولة وملوك إيران من كتاب "فذلكة" العربي للمؤلف وغيره، وبالنسبة للشعراء المذكورة مخالصهم فقد

أخذنا المعلومات الخاصة بهم من تذاكر الشعراء العثمانيين ومن قاموس الأعلام لشمس الدين سامي وغيره من المصادر العثمانية الأخرى وبالشكل المناسب. وهذه المعلومات وضعناها بين قوسين معقوفين [ ] مع الإشارة إلى مصدرها في هامش التحقيق. وهناك بعض مواد من مثل ذلك تركناها على حالها. ولاحظنا وجود إضافات صغيرة على بعض المواد عدا خط المؤلف في نسخة المسودة من قبل شخصين آخرين (أنظر مثلاً الأوراق: 72b، 262a، 272a)، وهذه الإضافات رأينا أن نأخذها نظراً لصحتها مع الإشارة إلى ذلك في هوامش التحقيق قدر الإمكان، مثل:



من الورقة 72b: ملحوظة مكتوبة بخط مختلف حول كاتب چلبي وتاريخ وفاته واسم كتابه



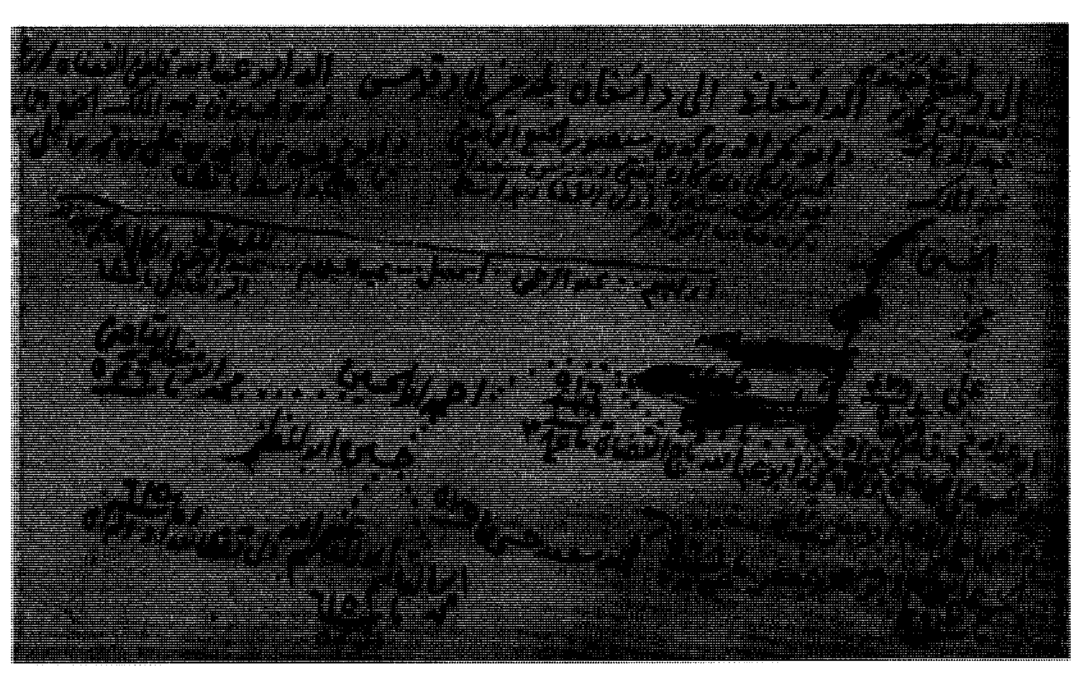
الورقة 262a: ترجمة مكتوبة بخط مختلف عن يحيى بن عمر المنقاري وتذكر أن هذا الرجل توفي بعد كاتب چلبي

الورقة 272a: وفيها عبارة تبدأ بـ: "وكان هو رحمه الله...." أضيفت من طرف شخص آخر في نهاية الخاتمة التي هي بخط كاتب چلبي

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤلف قد رتب تراجمه بحسب الترتيب الألفبائي، لكنه لم يراع ذلك الترتيب في بعض المواد الموجودة في نهاية الجزء الخاص بالحرف (ج)، فقمنا نحن بإعادة ترتيب تلك المواد. كما لاحظنا في الترتيب الألفبائي للمواد أن المؤلف لم يفرد للأحرف التركية والفارسية (پ، چ) مكاناً ضمن ذلك الترتيب، وإنما عاملها معاملة نظيراتها الخفيفة (ب، ج) لكنه استخدم الحرفين (پ، چ) في بعض الألفاظ التركية الواردة في نصوص المداخل، وخاصة في الكلمتين (پاشا، چلبي).

وقام كاتب چلبي في القسم الثاني بذكر العديد من الأسماء التي ذكرها في القسم الأول ولكن من خلال كناهم وألقابهم وأنسابهم بشكل موجز. ومثل هذه المواد الموجودة في القسم الثاني قد أشرنا نحن في هامش التحقيق إلى أماكن وجودها في القسم الأول. كما توجد معلومات إضافية في مواد القسم الثاني تتعلق ببعض الأشخاص ممن وردت تراجمهم في القسم الأول، فأبقينا على هذه المعلومات كما هي، وأشرنا في الهامش إلى مكان الشخص في القسم الأول.

كما وضعنا رقماً مسلسلاً لكل التراجم الواردة في القسم الأول وكذلك للتراجم الواردة في القسم الثاني وحده دون الأول، ومن هنا يبلغ مجموع التراجم في القسمين 8561 ترجمة، 5542 ترجمة منها في القسم الأول و3019 ترجمة في القسم الثاني. والأسماء التي تكررت في الكنى والألقاب والأنساب ليست داخلة ضمن هذا العدد. وقد سعى كاتب چلبي في القسم الثاني من الكتاب لتقديم أشجار النسب لعوائل بعض العلماء البارزين، لكنه سعى لكتابتها على عجل داخل مساحات ضيقة في الصفحات فكانت النتيجة أن انطوت على بعض النقاط المبهمة. مما دفعنا لتصحيح تلك الأنساب مستعينين بالمصادر قدر الإمكان، ومع ذلك فقد ظلت بعض النقاط على إبهامها. ونظراً لأن الأسماء الواردة في تلك الأشجار مكررة فلم تدخل ضمن الترقيم المسلسل.



نموذجان من مشجرات النسب التي وضعها كاتب چلبي في القسم الثاني

ويتضح لنا من كل ذلك أن الوقت لم يسعف المؤلف ليقوم بالمراجعة الكاملة لكتابه وإعطائه الشكل الأخير. فهو يكرر في القسم الثاني تراجم بعض الأشخاص الذين ترجم لهم في القسم الأول، ويقوم بوضع بعض الإضافات. وقمنا نحن من جانبنا بالإشارة إلى تلك الإضافات في هوامش التحقيق، فهناك مثلاً (الشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم الخطيب الوزيري) قد تكررت ترجمته في القسم الأول مرتين (187b، 188b)، ولما أدرك المؤلف ذلك قام بتصحيح تاريخ الوفاة الوارد في الترجمة الثانية ثم أخذ منها بعض المعلومات وأضافها على الترجمة الأولى ووضع فوق الترجمة الثانية كلمة (مكرر). كما لاحظنا أنه عاد وذكر نفس الشخص في القسم الثاني تحت نسبة (الوزيري)، لكنه ذكر تاريخ الوفاة بسنة ٨٦٧، في حين أنه مذكور في القسم الأول بسنة ٨٧٠، وهو أمر أشرنا إليه في موضعه من هوامش التحقيق.

والخلاصة أن كاتب چلبي وهو يكتب هذا الكتاب المرجع في مجال التراجم استعان بما يزيد على ١٥٠ كتاباً بالعربية والتركية والفارسية واللاتينية. واستغرق في إعداده أعواماً طويلة في الوقت الذي كان يعد فيه كتابه الموسوعي الآخر في موضوعات العلوم وكتبها والمعروف بكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. وقام بتبييض المجلد الأول الذي يبدأ من البداية حتى نهاية حرف التاء، بينما ترك القسم المتبقي في حالة مسودة، ولم يسعفه الأجل لإعطائه الشكل النهائي. والكتاب يترجم لحياة وأعمال ما يزيد على ثمانية آلاف وخمسمائة علم من الإعلام المعروفين في تاريخ الإسلام وأدبياته من كل الفئات والطبقات حتى عصر المؤلف. كما يقدم في قسمه الثاني معلومات موجزة في الكنى والأنساب والألقاب وكذالك في أسماء الأماكن والمذاهب والفرق وغير ذلك، وهو ينفرد بهذه الخاصية في العصر العثماني وما قبله.

وبعد كل هذه التفاصيل الفنية نرى أن أهم ما يتميز به سلم الوصول بوجه عام هو أنه يكشف لنا عن مدى الثراء الحضاري والتوحد الثقافي الذي كان يعيشه العالم الإسلامي آنذاك، إذ يمكن لنا من خلال النظر في التراجم التي قدمها كاتب چلبي أن نرى كيف أن أعمال العالم التركستاني كانت تُقرأ وتستخدم في الأندلس، وكيف أن أعمال العالم الأندلسي كانت تُقرأ وتستخدم في تركستان. فقد كانت اللغة العربية هي لغة العلم المشتركة، وكان التعليم في المدارس جارياً بتلك اللغة، ومن ثم كان يمكن للعالم أينما توجه على امتداد الساحة الإسلامية من شرقها فيما وراء النهر إلى غربها في الأندلس ومنطقة البلقان أن يجد وظيفة لتدريس العلوم ويصبح فرداً من المجتمع الذي يعمل فيه. ويمكنه في الوقت نفسه سواء كان مدرساً أم كان قاضياً أن يستفيد من العلماء الآخرين. وهذا الأمر كان عاملاً في انتشار العلم والثقافة وتداول الكتب.

ولهذا السبب أيضاً كنا نرى تشابهاً كبيراً في أنحاء العالم الإسلامي في مناهج العلم والثقافة ونظم الحكم والإدارة. ونحن نعتقد أننا بنشرنا لكتابٍ مهمٍ مثل هذا ثم تقديمه للباحثين بعد هذه المدة الطويلة سوف نساهم في ملء فراغ في هذا المجال.

***